PP1


الطبعة الثانية
معين بسيسو
بيروت
٨٨ يوماً
خلف متاريس
الفارابي
دار الفارابي

**الكتاب:** ٨٨ يوماً خلف متاريس بيروت

**المؤلف:** معين بسيسو

www.spartacos.com

**الناشر:** دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان

ت: ٣٠١٤٦١(٠١) ـ فاكس: ٣٠٧٧٧٥(٠١)

ص.ب: ١١/ ٣١٨١ – الرمز البريدي: ١١٠٧ ٢١٣٠

www.dar-alfarabi.com

**e–mail**: info@dar-alfarabi.com

**الطبعة الأولى:** ١٩٨٥

**الطبعة الثانية:** ٢٠١٤

**ISBN**: 978-614-432-209-3



تباع النسخة الكترونياً عبر موقع الدار

# الإهداء

إلى صهباء،

إلى دالية،

إلى توفيق،

إلى مليكة.

# مقدمة الطبعة الثانية

## للشاعر الكبير سميح القاسم

**«ماردٌ من السنابل»..**

**ماردٌ من الثورة والشعر**

لهذا المارد اسمٌ هو معين بسيسو، معين توفيق بسيسو، «أبو توفيق»، كما أحبَّ وأحببنا أن نخاطبه، وأبو توفيق معين بسيسو شاعرٌ كبير. استمدَّ كبره وكبرياءهُ من مَنجَمَين عميقين وثريَّين: منجم الالتزام الثوريّ ومنجم الإبداع الشعريّ. وإنجازات معين الشعرية والمسرحية ونثرياته اليومية الحياتية اللامعة، كانت وينبغي أن تظلّ ركناً راسخاً ومضيئاً من أركان الثقافة العربية الفلسطينية، بأبعادها الوطنية والقوميّة والأمميّة. وإقدام الأخت والرفيقة الرائعة صهباء والإبن البارّ الأصيل توفيق، على إعادة طبع الأعمال الكاملة لمعين بسيسو، لا يجوز وضعه في خانة «إحياء الذكرى»، لأن ذكرى معين لم تمت ولن تموت، حتى يعمل أحد على «إحيائها». هذا المشروع الكبير والجميل والمدعوم من رفاق أبي توفيق، وأنا واحدٌ منهم، هو الردّ المناسب في الوقت

المناسب والمكان المناسب، على دعاة النكوص عن ثقافة المقاومة والحرية والسلام، والانحناء للموجة الذليلة العكرة، التي تروّج لثقافة الخنوع والاستسلام بذرائع هابطة وركيكة، فلا الوطن تحرّر ولا الشعب استقلّ ولا الدولة ذات السيادة تحقّقت، وما زالت القدس عاصمة روحنا وتاريخنا وحلمنا، عرضة يوميّاً لمشروع التهويد الهمجيّ.

منذ فتوّتي الشعرية عرفت أسماء أبي سلمى وعبد الرحيم محمود وإبراهيم طوقان وفدوى طوقان وسلمى الخضراء الجيوسي ومطلق عبد الخالق وآخرين وأخريات من شعرائنا الأفذاذ وشاعراتنا المبدعات، وكان واضحاً لي ولزملائي ورفاقي راشد حسين وتوفيق زياد ومحمود درويش وسالم جبران وشكيب جهشان وجمال قعور، وسائر الأشقاء والشقيقات الذين لا يقلل من شأنهم هنا عدم تسجيل أسمائهم، فما أنا بصدد دراسة أكاديمية، وتقتصر مهمتي هنا على تسجيل ملاحظة تقول إنه كان واضحاً لنا أننا لم «نطلع من حائط»، بل نحن نواصل مسيرة شعرية باذخة وراسخة، وعلى هذه القاعدة الصلبة وضعت كتابي المنشور بالتعاون مع اليونسكو في حينه، الكتاب التوثيقي «مطالع من أنثولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام»، وفي ذلك الكتاب حضورٌ بارز لمعين بسيسو، بما يستحقُّ طبعاً، وتضمّن قصيدته الشهيرة بعنوان «القصيدة» والتي نشرتُها له في كتيّب صدر عن منشورات «عَرَبسك» في حيفا تحت عنوان اخترتُه لها بموافقة معين هو «أبدأتَ تحصي أضلعك؟»، ومع لوحات خاصّة مستوحاة من القصيدة أنجزتها الفنانة سعاد نصر. وحين علم معين بصدور قصيدته

في حيفا فقد فرح كثيراً وانطلق مداعباً القائد الأخ ياسر عرفات ورفاقه: «أترون؟ لقد عدتُ إلى فلسطين قبلكم. أنا في حيفا الآن مع سميح القاسم. أترون؟»

وللأمانة التاريخية، فقد كابدت علاقتي بمعين بسيسو مرحلة قصيرة من الجفاء والخصام في العام ١٩٧٠ بقدر ما أذكر. آنذاك جاءتني الشاعرة الرائعة فدوى طوقان بقصاصات من الصحافة اللبنانية تحمل هجوماً عليها وعليّ من معين بسيسو ومحمود درويش. بكت فدوى المعروفة برقّتها ودماثة أخلاقها، فهدّأت من روعها وكتبتُ ردّاً عنيفاً نشرته آنذاك جريدة «الفجر» المقدسية اليسارية وأعادت نشره الصحافة اللبنانية وانقسم المثقفون الفلسطينيون واللبنانيون والعرب إلى «حزبين»، وعلم القائد الأخ ياسر عرفات «بالمعركة الميليشياويّة» فاستشاط غضباً وكلف الأخ شفيق الحوت (بشهادة الأخ يحيى يخلف) بوضع حدّ فوري لهذا «الاشتباك» غير المبرر، فنشر معين ومحمود اعتذاراً تصالحياً في وسائل الإعلام الفلسطينية وأرسلت إلينا نسخة منه نُشرت عندنا، وعبرت السحابة القاتمة المفتعلة وعادت المياه إلى مجاريها الطبيعية، وبما يليق بالأشقاء والرفاق على ساحة واحدة وفي خندق مشترك.

وفي العام ١٩٧٨ تلقيت دعوة من الدكتور هشام شرابي للمشاركة في مهرجان يقيمه الخريجون الجامعيون العرب الأميركيون في مدينة منيابوليس في الولايات المتحدة. ولبيتُ الدعوة، والتقيت هناك بمعين بسيسو ومحمود درويش، واتفقنا على تقديم أمسية شعرية مشتركة في

قاعة تتسع لقرابة ألف شخص. وكانت أمسية من أجمل الأمسيات. كانت مفعمة بالمحبّة والدفء والعنفوان والشعر، وحاصرنا الجمهور بطلب الصور والتواقيع، ولاحظنا، محمود وأنا، أن «معين» كان متجهماً بعض الشيء. ولاحظ ذلك أيضاً صديقنا الدكتور هشام شرابي فسأل «معين» عن سرّ تجهّمه فردّ معين محتجاً: هذه القاعة صغيرة علينا، فكيف تضعون ثلاثة حيتان في بانيو؟

ضحك هشام شرابي مربّتاً على ظهر معين: أنت على حق يا أبا توفيق، هذه القاعة صغيرة عليكم ولكننا لم نجد هنا قاعة أكبر منها. في المرة التالية سنحجز لكم أكبر قاعة في الولايات المتحدة. المهم أن تعدونا بزيارة أخرى وأمسية أخرى.

وابتسم مارد السنابل والالتزام والشعر قائلاً: نحن جاهزون دائماً لتلبية نداء شعبنا في كل زمانٍ ومكان. نحن منكم ولكم ومعكم إلى آخر العمر.

وهذا ما كان فعلاً. ظلّ معين بسيسو منا ولنا ومعنا إلى آخر أيامه وإلى آخر خفقةٍ من قلبه الكبير والجميل، في فندقٍ لندنيّ غائم بعيد.

ويا صهباء وتوفيق وكل الرفاق والأصدقاء الأوفياء، نحن لا نحيي ذكرى معين بإعادة طبع أعماله الإبداعية الرائعة، فذكرى معين لا تموت «وهو يدري كم نحبه»، لكننا نجدّد العهد على مواصلة المسيرة على درب الآلام وطريق الحرية والسلام والمقاومة والإبداع. هذا هو طريقنا الذي اخترناه وشققناه معاً. وأبداً على هذا الطريق..

**سميح القاسم**

**(الرامة- كانون الأول ٢٠١٣)**

تشد الرحال إلى أين؟
تشد الرحال إلى أين؟
ضاقت صحارى بني يعرب بحصان جميل
وضاقت بعش مطوقة بكل هذا النخيل
وضاق بهذا الشراع الصغير
فرات ونيل.. وغزة لن تصبح المستحيل.

معين بسيسو
في مراسم تأبين شقيقه عابدين،
بقاعة جمال عبد الناصر - جامعة بيروت العربية.
١٩٨٢/٦/٢

## مقدمة

## ... إنك لا تترك ثأرك الشخصي للتاريخ

... هذه هي شهادة شاعر فلسطيني.. عاش الحصار الأميركي – الإسرائيلي – الذي ضرب حول بيروت الوطنية.. أو بيروت التي وقفت وراء متاريسها – ولا تزال – وأنا أكتب هذه الشهادة في ٢٧ حزيران/ يونيو ١٩٨٢..

في صباح اليوم الثاني من وقف إطلاق النار.. ولا أعرف عند أية ورقة سوف تتوقف هذه الشهادة.. فوقف إطلاق النار يمكن أن تقصفه الطائرة الإسرائيلية بقرار أميركي في أية لحظة.

ومع ذلك وجدت لدي القدرة والقوة على كتابة هذه الشهادة.. لأصدقائي ورفاقي الكتاب والشعراء العرب وفي العالم – حتى أقصى شارع ممكن – وحتى أولئك الكتاب والشعراء الذين لم تصل أصواتهم إلينا نتيجة للاطمئنان الجغرافي.. أو نتيجة عدم الاكتراث لمصير عاصمة صغيرة على الخارطة.. ملأت بالرمل كيسها ورقدت وراءه تدافع عن نافذة لم تحترق بعد.. وحائط لم يتمزق.

ولقد وجدت في نفسي الشجاعة أيضاً لكي أكتب هذه الشهادة – لكي أنبه إلى فداحة الخطر من الشعور بالراحة النفسية بالنسبة إلى عدد كبير من الكتاب والشعراء هنا وهناك.. فور التوقيع على برقية احتجاج ضد حرب إبادة مهندسة ضد الفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين.. ومن أجل فك الحصار عن بيروت.. أولئك الذين صمتوا وقعوا في ظل الدبابة الإسرائيلية.. وأصبحوا مكبلين بجنازيرها.. هي تجرهم وراءها حيث مشت في عملية غزو وإبادة.. أما الذين لاذوا بأفياء الاطمئنان الجغرافي فأعتقد أنهم سقطوا في حبائل خداعهم لأنفسهم – فلا يستطيع أحد منهم أن يزعم – كاتباً أو شاعراً الخ.. أنه لم ير ولم يسمع.. وبالتالي فالجريمة كانت بعيدة عنه.. إنها ليست الجريمة السرية..بيروت التي أحرقها الأميركي – الإسرائيلي ليس فوق رأسها طاقية الإخفاء – إنهم عبثاً يحاولون أن يأكلوا خبزهم بلا دخان.. إن الدخان يفوح حتى من الموسيقى التي يؤلفونها لأطفالهم.. والدخان سيصعد من الورق الذي سيكتبون عليه.. فالدخان علق بأيديهم وعبثاً يحاولون غسله بالحبر.

إن أطفالنا المحترقين معلقون من رقابهم المحترقة على امتداد حبال غسيلهم التي يعلقون عليها كتبهم لكي تجف.

أما أولئك الذين وقعوا رسائل الإدانة لـ(٦) قذائف عنقودية وانشطارية وفوسفورية وكيميائية كانت تسقط فوق رؤوسنا كل دقيقة.. فلا أعتقد أن مثل هذه الرسائل– وأنا لست ضدها – هي الأسلوب الوحيد للوقوف ضد مذبحة ومحرقة بهذا الحجم لثورة ولشعب.

.. مستوى الجريمة كان أكبر بكثير من مستوى رسالة الاستنكار ولا أعتقد أنه بمثل هذا الأسلوب وحده والمستوى الذي بلغه حتى الآن.. يمكننا أن ندافع عن كتبنا وكتب أصدقائنا، يمكننا أن ندافع عن أنفسنا وعن الآخرين..

***

هذه الشهادة ليست بلاغاً عسكرياً عن الذي جرى ويجري من وقائع المذبحة المحرقة.. فأنا أترك للخبراء العسكريين مهمة الكتابة العسكرية – غير أنه لا يمكن الفصل في هذه الشهادة – بين الجريمتين العسكرية والسياسية وحتى الوجدانية.. فالدبابة والبارجة والطائرة الإسرائيلية قصفتنا بالقرار الأميركي الإسرائيلي.. قصفنا بقرار التصفية السياسية بعد قصفنا بقرار التصفية العسكرية.

وهذه الشهادة لا تقع في إطار الفرمان السياسي.. أو البيان الأدبي.. فكم أنا بعيد الآن عن هذين الإطارين.. فسيأتي بعد فترة.. لن تطول.. من يصوغ ويعلن البيان السياسي والأدبي.. إنها ليست غير مسألة وقت.. لكي تجيء الكلاب البوليسية الأدبية.. وقطط دور النشر بشعرائها وكتابها الأكثر توزيعاً.. والذين هربوا إلى حيث تقف الدبابة الإسرائيلية.. إنها ليست غير مسألة وقت.. وسوف تأتي عربات دور النشر.. مثقلة بالكتاب والنقاد والشعراء وكتاب رسائل الماجستير والدكتوراه.. والخبراء العسكريين وكتاب الزوايا العسكرية في المجلات الشهرية والفصلية.. لكي يبحثوا بين الأنقاض.. عن أوزان

ملائمة لقصائدهم.. وعن أطفال لم يدفنوا بعد.. أبطال لقصصهم ورواياتهم.. وسوف يكتب الخبراء العسكريون كثيراً لا عن معدن المقاتلين الذين كانوا يدافعون وراء متاريس من التراب والحجارة في بيروت.. ولكن عن معدن القنبلة والصاروخ.. عن معدن الطيار الإسرائيلي في طائرة أف ١٥ أوأف ١٦..

إنها ليست غير مسألة وقت.. لكي يأتي فيها مصورو أو مخرجو أفلام الدمار.. لكي يقلبوا جيوب مقاتلينا الموتى.. ويكتبوا سيناريو الفيلم الجديد.. أنا اعرف منذ الآن ماذا ستلتقط الكاميرا: عروس من الشمع دفنت تحت الأنقاض.. والكاميرا فوق ذراعيها الممدودتين... رأسها الطافي فوق ذراعيها الممدودتين.. رأسها الطافي فوق الأنقاض.. إنه الديكور المجاني لكل المخرجين والمصورين والمتفرجين الذين سوف يرون هذا المشهد.. سوف يتضامنون مع عروس الشمع.. ولقد تضامنوا بالفعل حينما اشتروا تذكرة لمثل هذا الفيلم.

إنها ليست غير مسألة وقت – لكي تأتي كل المومسات اللواتي تبعن الدبابة الإسرائيلية – لكي تُؤلف جمهورية وحكومة الدبابة الإسرائيلية.

وأنا أتمنى أن لا يجيء هذا الوقت أبداً.. أتمنى أن لا يجيء.. إنك لا تترك ثأرك الشخصي للتاريخ.. ثأرك الشخصي ضد أولئك الذين تركوا طفلة هي ابنتك.. في بداية العاشرة من عمرها.. تحس أنك لم تقدم لها ذات يوم لا جغرافيا ولا تاريخ فلسطين.. تركتها تبحث عن

خريطتها بنفسها.. عن نشيدها الوطني.. عن كل شيء تؤكد فيه طفلة انتماءها إلى عروس من الشمع.. كمقدمة لانتمائها إلى وطن.

**بيروت ٢٧/ ٦/ ١٩٨٢**

# متاريس

## جريدة المعركة – بيروت

## رسالة مفتوحة إلى قلعة الشقيف

عيون أَطْفالنا

أزْرار قمصانَكم

أصابع أطْفالنا

ملاعِقْ..

اشْربوا بها حبْركم

وامضُغوا الوَرْق

أَوشْكت تدقّ

ساعة حائط الغَرق

وانظروا..

وانظروا

إنّ قطرة الدّم الفلسطينيّ

تكبرُ الآن

تكبرُ الآن..

تَصير سفينة

تمْلأُ الأُفق..

***

اشْربوا حبْركم

وابتلِعوا الَوَرْق

وعلّقوا على حبل الغسيل

برقياتكم

وعلّقوا الخطب

وقولوا

أيّ شيء لنا

اكتُبوا أيّ شيء لنا

ادهنوا أصواتَكم

بدِخان الغَضَبْ

ضعوا على وجوهكمْ

أقنعةَ الّلهبْ

ولا تقولوا شيئاً واحداً

لا تقولوا

إنّنا عرب..

***

يا قلعةَ الشقيفْ..

لمْ يرفع الراية البيضاء

لا كيساً من الرّمل

ولا حجَر..

قاومت الشمسُ

وقاوَم القمرَ

وقاوَمت الجذور والصّخور

وقاوم الشّجر

وقاوم موج البحْر في صيْدا

وصارتْ كل موجة متْراس

وقاوم الشّباك في النبطيّة

ألف تحيّة لكم

أرسَلْتُمُ لنَا برقيّة

***

ما الذيّ سوف تقولونه

لأطفالكمْ

حينما يسألونكمْ

كيفَ قاتلوا وحدهمْ

كشجرِ الأَرز والزيّتون

وكيفَ سقطوا وحدهم

مثل صخْرة، في جبل القسَطل العظيم

أو صنّين..

كيف قاتلت صورْ

وقاتل الدّامور

وكيف قاتلتْ بيروت

بعلبةٍ منَ الكبْريت..

وكيف هذا الفلسطينيّ

شقّ لبنان صدره له

يذبحونَه من يديْه ومن عينيْه

فلا يموتْ..

وكيفَ على رقابِكم،

كيفَ على أفواهِكم،

كيفَ على سيوفكم،

قد عشّش العنكبوت..

***

ماذا تقولون لأطفالِكم

حينما يسألون

أينَ طائراتِكمْ

وأينَ دباباتكم؟؟

إننّي نيابة عنكم.. أقولْ

إنّها واقفة

مشبوكة بالدبّابيس

مشدودة بالحِبال

إلى يد المروّض الكبير

في انتظار المشْهد الأخير

والكَفْن الأَخير..

***

سيدّاتي.. سادتي

لا تحسْبوا أنّه المنظر الأخير..

وأنّ السَتار سوفَ يسُدَل الآن

على المنْظرِ الأخيْر

وأنّ كيسَ الرّمل يلفظُ الآن من يَديه

النَفس الأخير..

أنّ بيغن الآن يُهدي لكُم أحجارَ

قلعة الشّقيف

ملفوفة بأقماطِ أطْفالنا

واقْبلوا الهديّة..

واذْكروا

اذْكروا

اذْكروا

أن حَجراً لم تزْل
تصْعد النّيران منه
ويصْعد الدّخان
يكْتب الآن
قصيدةَ الطّوفان.

دبي / ١٩٨٢/٦/٧

## من معين بسيسو... إلى ياسر عرفات

الشمس ممرضة
فوق الأرصفة
عرائس أطفال
تعطي دمها
لأطفال الجرحى
عصفور
يعطي دمه لجريح في صور
- عين الحلوة - ترسم بأصابعها
المحترقة - طائرة -
فوق الكفِّ -
الطائرة
الكفُّ تطيرْ.
تحمل منديل تراب
لمتاريس الدامور.

***

الشمس ممرضة

صيدا ترسم برموش العينين على الكف،

نافذة.

النافذة

الكف يطير.

تهبط في صدر جدار.

محترق في خلدة

ما زال به تمشي يمامة.

أيتها الوردة.

بين – خليج الضفدع

ومحيط المستنقع.

بين الحدأة والنعامة.

معصوب بالموج جبينك

والشمس على خدك شامة.

***

الشمس ممرضة.

الشمس امرأة حبلى

تنشر فوق الحبل غسيل القتلى.

فرس يرشح دمها

من حبل غسيل

***

أيتها الفرس الوردة

كل الأيدي تمتد لك الآن

بآنية زهور.

وصلت أو لم تصل النجدة

كوني وردتنا.

أيتها الوردة

ماؤك ينبع من كيس الرمل.

شراايينك في كيس الرمل

جذور.

يسقط رأسك لو يغرس

في آنية زهور.

القتلة مختبئون جميعاً

في آنية زهور.

***

الشمس ممرضة

ياسر عرفات

انظر هي ذي عاصمة.

خوذتها يغسل قدميه فيها المحتل

وعاصمة أخرى.

كل مواسير بنادقها

صارت حبل غسيل

أي وحول.

رشحت من أقواس بيارقها

ومواسير بنادقها

أي وحول

ياسر عرفات.

وعاصمة أخرى عاصمة أخرى..

انظر كم عاصمة أخرى.

كل شهيد كالشباك المفتوح

يمشي

كحصان مذبوح

كشراع تصهل فيه الشمس

وتصهل فيه الريح

ويسقط - كيساً من رمل -

في بيروت.

***

ياسر عرفات

بين خليج في الوحلْ

ومحيط في الوحل

إما أن نملأ يدنا بالرمل

أو نملأها بالوحل

وسنملأ يدنا بالرمل

سنملأها بالأحجار وبالرمل

عاصمتك

عاصمتي كيس من رمل

لا توجد عاصمة أخرى.

والشمس ممرضة حبلى.

تلد امرأة حبلى.

## أولئك الذين يغسلون ملاعق و «سكاكين» العدو..

من الخليج الذي أصبح - حماماً تركياً - للأميركي الإسرائيلي.. الخ، إلى المحيط الذي صار - سريراً من الماء سريراً للأميركي الإسرائيلي الخ.. لم تمش تظاهرة واحدة للكتاب والمثقفين والشعراء العرب. ولو بعدد أصابع القدم الواحدة.. بالطبع كان هناك مبادرة الشاعر اللبناني خليل حاوي - الذي بادر وانتحر.

وسكت الآخرون.

أولئك الذين كانوا يتظاهرون من أجل توقيف شاعر أو وضع كاتب في القائمة السوداء - أولئك الذين حلبوا عيون الشهداء وشربوا حليب العيون وباعوه قصائد وكتباً وشعارات - أولئك الذين أعطتهم كاميرات بيروت - وجههم - وأعطتهم ميكروفوناتها - صوتهم - وأعطتهم جريدتها - اسمهم - سكتوا الآن - وتحولوا بهذا السكوت أو تحول بعضهم - إلى شعراء وكتاب - في المطبخ الإسرائيلي الدموي - إنهم يقومون بصمتهم - بغسل ملاعق وسكاكين وصحون العدو. إنهم يغسلون جوارب جنوده - ويعلقونها حول أعناقهم.

وهناك للأمانة الجغرافية والتاريخية – طابور آخر – أكثر تأثيراً بالطبع – من طابور الجرسونات من الكتاب والشعراء – إنه طابور العواصم التي نام بعضها على سرير الجغرافيا أو سرير التاريخ أو نشرات الطقس غير المؤاتي.

لا تظاهرة واحدة – وحتى لا برقية – لا كلمة استنكار واحدة لفك الحصار عن الكتاب والشعراء والصحفيين اللبنانيين والفلسطينيين المحاصرين خلف متاريس – بيروتهم.

إنهم ينتظرون

أن يتظاهروا – في جنازة.. وراء تابوت بيروت –محمولاً على عربة عسكرية عربية – تظهر الآن فقط.

إنهم ينتظرون

أن يطير النحل من جثة بيروت – أن يسرقوا العسل العالق بأرجله. وأن يكحلوا بالعسل عيونهم ويكتبوا قصائدهم العسلية عن بيروت وعن الفلسطيني الأخير.

إنهم ينتظرون جثتنا.

ونحن وراء متاريس بيروت في انتظار قنبلة العدو وجثته أيضاً.

تلك هي قصيدتهم وهذه هي قصيدتنا. هذه هي عاصمتنا وهذه هي عاصمتهم تحكمها أرجل اللاعبين بكرة القدم. أو أرجل وأيدي الذين يريدون أن يلعبوا برأسنا. أولئك الذين لم يبق من ألوان علمهم الوطني – غير اللون الأبيض. أولئك الذين يقدمون لنا حبل غسيل

– نعلق عليه بنادقنا وخريطة فلسطين وخريطة بيروت وخريطة قصائد المقاومة.

***

لا تظاهرة واحدة ولا حتى ساعة إضراب واحدة عن الكتابة – أو ساعة كتابة واحدة من أجل بيروت – أولئك الذين كانت فلسطين – ديكور كل مؤتمر من مؤتمراتهم الأدبية التي انعقدت تحت كليشهات شعارات مقاومة الهجمة الامبريالية والصهيونية والرجعية الشرسة الخ بالطبع.

الآن يسكتون. وفي الغد سوف يكونون أكثر الذين يكتبون؛ غير أن بصمات جنازير الدبابة الإسرائيلية ستظل دائماً فوق أوراقهم وجباههم أيضاً.

***

المحاصرون وراء متاريسهم هم الذين يفرضون الحصار الآن على أولئك الكتاب والشعراء والمثقفين الذين يصمتون. فتبصق في عيونهم التي صمتت هي الأخرى متاريس بيروت.

## مرمى الحذاء

لا يمكن فصل - الراديو الترانزستور - عن الكلاشينكوف بالنسبة إلى الفلسطيني اللبناني في بيروت. هل هي علاقة المقاتل المحاصر بالعالم الذي تحول إلى - هواء - يأتي بمختلف اللغات. المقاتل المحاصر الذي يريد أن يعرف أين يقف العالم. من متاريسه المحاصرة؟

بعض الهواء الذي يأتي يستفزك إلى الدرجة التي تريد أن تطلق عليه النار. ولكنه الترانزستور - الصديق - العدو - الذي يطلق عليك النار بمختلف اللغات. وفي مقدمتها اللغة العربية التي لطخت الهواء بالوحل من خلال نشراتها الإخبارية وتصريحاتها وتعليقاتها السياسية - التي ليست أكثر من - طبل مفتوح البطن - يبول عليه كلب.

القصف يشتد من السماء والأرض والبحر. وأنت تقفز بإصبعك فوق مختلف الإذاعات. لعل قنبلة من الهواء أو رصاصة من الهواء تنفجر حتى في أذنك.

ويأتي إليك من الهواء نشيد؟
بلاد العرب أوطاني
من الشام لبغداد..؟

تبصق، إن أي طفل لبناني - فلسطيني يعرف الآن أكثر من كل أساتذة الجغرافيا أن هذا النشيد يكذب. وأنه ضبط تحت القصف متلبساً بالجرم المشهود جرم الكذب على أطفال بيروت. فالجغرافيا التي يعرفها الأطفال اللبنانيون والفلسطينيون - هي التي يرونها متاريس من الرمال في شوارع بيروت. إنها هي الجبال العربية بالنسبة إليهم. والجغرافيا التي يعرفها الأطفال اللبنانيون والفلسطينيون هي المتاريس التي تقول لهم إن بلاد العرب تمتد فقط من ضواحي صور إلى ضواحي بيروت الوطنية إلى كل أحذية المقاتلين أينما كانوا.

سوف يكتب أطفال بيروت الجغرافيا الجديدة للبلدان العربية - ذات يوم - وسوف يقولون: حذاء المقاتل يحده من الجنوب كذا ومن الشمال كذا ومن الغرب كذا ومن الشرق كذا. فالعواصم العربية أصبحت تقع كلها في مرمى الحذاء اللبناني الفلسطيني - العواصم وشعراء وكتاب ونقاد ومؤرخو العواصم ودور نشر ومجلات ومراكز الأبحاث التكتيكية والإستراتيجية للعواصم.

عن أي شيء كانوا يبحثون؟ عن العدو. إنه واقف أمامهم، ولكنهم يبحثون عنا. بعضهم خذلته الجغرافيا. وبعضهم نشرة الأحوال الجوية - وبعضهم من الذين صار عقال كوفيتهم - رسناً - حول

عنقهم يجرون منه – يبذلون أقصى الجهود. بعد أن خذلتهم الخريطة العربية التي تفرقت ألوانها، أما الذي يلعق صحن كمب ديفيد الملطخ بدماء أطفالنا – يلعقه ثلاث مرات في اليوم، فلقد دعانا إلى مطبخ كمب ديفيد لنشاركه في غسل الصحون الوسخة بألسنتنا، دعانا لكي نعض شواهد قبور شهدائنا.

***

الترانزستور يدور، وأنت تريد أن تقول له الآن:

_ انقل هذه الكلمات ترجمها بكل اللغات لو أمكن، أو اللغات التي تريدها. لا يهم. ولكن لا بد من اللغة العبرية.

من متاريس بيروت تولد الآن فلسطين جديدة ولبنان جديد وخريطة عربية جديدة. فالدماء التي هدرت في شوارع لبنان كله. تجري الآن في طول وعرض التراب العربي، ولهب الحرائق التي أشعلتها طائرات العدو، تجري في شرايين الملايين من الفقراء والكادحين والشرفاء. ومن هذه الشرايين سوف تمتد ألسنتها إلى وجوهكم.

أكثر من البندقية سوف تخيفكم جثة الطفل اللبناني الفلسطيني المحترقة وهو يطاردكم من عاصمة إلى أخرى، يدق بكفه المشتعلة نوافذكم.

إن جثته لن تكون أبداً وسادة يستريح فوقها رأس أية عاصمة من عواصمكم.

سوف نخرج من جديد من بطن كيس رمل، من نافذة محترقة، أو من

بطن امرأة وبوجه جديد هو وجه لن تستطيعوا أبداً أن تعلقوه، بالملاقط فوق حبل غسيل - لأن هذا الوجه الجديد - سيكون هو وجه شعوبكم.

عندها لن تستطيع الدبابة الإسرائيلية أن تحاصر أية بيروت جديدة، فقبل أن تتحرك جنازيرها تكون جنازير دبابتنا الجديدة الآتية قد التفت حول عنق العدو الذي قصفكم جميعاً. حتى أصبحتم تلصقون أعناقكم بالصمغ أو بكعب البندقية الإسرائيلية أو بالدبابيس الأميركية.

## هذا هو رأسنا
## وهذه هي الشوكة والسكين

أتمنـى أن أكـون في تونس الأن -يـا وزراء خارجية الـدول العربية. حيـث تعقـدون اجتماعكـم - التاريخـي الجغرافـي الـخ - وبعد ثلاثة أسـابيع كاملة بنهارها وليلها من الحرق والذبح، من كل صور وأشكال الإبادة لفلسطين ولبنان معاً.

أتمنـى أن أكـــون في تونس - في الفندق الذي سـوف تقيمون فيه. لكي أضع في جناح كــل وزير للخارجية - رأس طفل لبناني فلسطيني محترق. إصبع - آنية زهور - فوق منضدة إلى جانب سـريركم. ولماذا أضـع رأس الطفل آنيـة زهور؟ لماذا لا يكون مصباحـاً كهربائياً تقرأون على نوره، الرسالة الأميركية - الإسرائيلية التي تقول لكم:

- القبـر مفتـوح، ولم يبق غير وصول الجثة. أؤكـد لكم أن جثتنا لن تصل إلى قبركم المفتوح.

أتمنـى أن أضـع قـائمـة فطوركم يـا وزراء الخـارجيـة العـرب- المسـتخدمين إلى أقصى حد - من الخباز وبائع الصحف. من الجندي

العربـي الذي يحـس الآن – في أي جيش – أن الخـوذة الفولاذية فوق رأسه – وهو يرى المذبحة والمحرقة بعينه. ولا يستطيع أن يضع إصبع يده على الزناد. ليس غير مرحاض لجندي العدو – أريد أن أضع قائمة بفطوركم وغذائكم وعشائكم.

– عيـون فلسـطينية – لبنانيـة – لأطفال بين الخامسـة والسـابعة من أعمارهم. مسلوقة في الزبد والعسل.

– فخـذ طفلـة فلسـطينية – لبنانية – مشـوي على نار هادئـة جـداً – يضاف إليه بصقة من فم ريغان. ومن فم ريغان وشـارون – هذه البصقة الأميركية – الإسرائيلية هي التوابل بالنسبة إليكم.

– الفاكهة – هي قلوب أطفالكم جميعاً. فقلوب أطفالنا تحولت إلى قنابل خلف متاريس بيروت.

إنني أسألكم الآن..

– كيف تهربون وإلى أين..؟

من الـطفل المـذبوح، أومن قبـر الشـهيد في مقبرة الشـهـداء الذي قصفته الطائرة الإسرائيلية – واختلطت عظام الشهداء بعضها ببعض.

أين ستهربون يا وزراء الخارجية العرب.

إن طفلاً فلسـطينياً محترقاً، بالنابالم – يتمدد الآن فوق – الطاولة – التي تجتمعون حولها في تونس.

ولكي نوفر عليكم كل شيء فهذه هي الشوكة وهـذه هي السكين.

كلـوا فهـذا هو لحمنـا.. لحـم أطفالنا الذي سـوف يطـارد الدم في شرايينكم حتى تسقطوا.

PT43



لا نريـد أكثـر من اسـتدعاء حاجـب لكم فـي سـفارتكم العربية في واشـنطن كمظهـر مـن مظاهـر الاجتمـاع، لا نريـد أكثر من هـذا. ومن استدعاء الملحق السياحي في سفارتكم العربية في واشنطن.

ونحن في الانتظار.

## «شالوم» أيتها العواصم العربية

### إنهم يقصفون قبور الشهداء

بالنسبة إلى إسرائيل فكل قبر شهيد هو دبابة فلسطينية وكل شاهد قبر هو صاروخ. والأشجار التي تلف مقبرة الشهداء هي مواسير مدافع مضادة للطائرات، والطائرات الأميركية - الإسرائيلية تقصف مقبرة الشهداء، وبهذا لم يبق حجر أو نافذة. في بيروت الوطنية المقاتلة المحاصرة - لم يقصف الأميركيون الإسرائيليون أو الإسرائيليون الأميركيون، الذين جاءهم الضوء الأسود بمواصلة عملية القصف بما في ذلك مقبرة الشهداء من الأميركيين والإسرائيليين، هكذا أصبح الإسرائيليون والصهيونيون العرب سواسية كمسامير النعل مع الأميركيين الصهيونيين.

فحين تصل فوهة مدفع الدبابة الإسرائيلية إلى رأس كل طفل ومقاتل وامرأة في بيروت، إلى عنق الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية، حين تسقط القذائف والصواريخ فوق كل شباك وسقف وحائط لمدرسة ومتحف ومستشفى وبناية سكنية فوق

كــل شارع ومتراس – ولا تغلق عاصمة عربية واحدة سفارة الولايات المتحدة الأميركية، ولا تطلب حتى درجة استدعاء حاجب في سفارتها في واشنـطن، ولا نقول إغلاق فم بئر النفط الذي هو ملء بطن قاذفات القنابل الأميركية الإسـرائيلية، فما الذي يمكن أن يكتب عن الصهيونية العربيـة التـي تأكـد خلال مجرى كل تلـك الأيـام والليالـي الدموية الرهيبـة – التي كان يرشـح نهارها وليلها بالـدم الفلسـطيني اللبناني – ولا يـزال – أن حقدها الصهيوني العربي على الثورة الفلسـطينية وعلى لبنـان الوطنـي العربي المقاتل – هـو مصدر الإلهام للحقـد الصهيوني والأميركي ومهبط الوحي.

وأنـا وكل طفل وكل مقاتل وكــل امرأة وراء متاريس بيروت، نقول لابن أبيه الجميل المنـاضل وليد كمال جنبلاط إننا مــع الحرب الوطنية بكــل أبعادهـا ضـد الصهيونيين العـرب والصهيونيـة العربيـة القديمة والجديـدة، سـنكون مع الفقـراء والكــادحيـن والمناضليـن في كــل وطن عربي، سـنكون طليعة التظاهـرة والإضراب والانتفاضة ضد هذه الأنظمـة الجرباء التي ينخرها – السـفلس الأميركي الصهيوني – الذي ينخر ألسـنتها التي لم تتكلـم – فقد ملأت أفواهها البصقة الأميركية – الإسـرائيلية – وينحـر عيونهـا التي ترى فلا تتحـــرك – فهي غارقة في الوحــل حتى الأذنين. سـنبقى في سـواعدهم حتى تـأكل النيـران التي أشـعلوها في قلـب ورأس بيـروت، الكــرسـي الأخير من كـــراسـي عواصمهم.

وأنا لا أريد أن أكتب عن إعطاء الصهيونية العربية – ولا عن شرعية – الشيكل الإسرائيلي – التي كانت تقوم التوابيت أو الأتوبيسات بإعدادها لنقل المقاتلين الفلسطينيين – تحت إشراف مقاول التوابيت الأميركي الحاخام – فيليب حبيب – لا أريد أن أكتب عن اللقطاء – عن لقطاء بيغن وشارون – لأن هوسهم الدموي بإحكام قبضتهم على بيروت ولبنان قد أسقطها صمود متاريس بيروت وأسقطتها أيضاً القرنفلة السوداء التي قدمها صهيوني لبناني كتائبي إلى دبابة إسرائيلية.

عبثاً انتظروا – أن يفتح الفلسطيني اللبناني – بالسونكي – بطن كيس رمله – إنهم لا يعرفون – وكيف يمكن للصهيوني الفاشي العربي – أن يعرف أن بطن كيس الرمل – بالنسبة إلى اللبناني الفلسطيني – هو مثل بطن امرأته أو طفلته – مثل بطن أمه ومثل بطن أبيه مثل بطن الشهيد.

إنهم يقصفون قبور الشهداء لأنهم يعرفون، أن قبور الشهداء دخلت المعركة وفي الخط الأمامي منذ اللحظة الأولى – دخلوا معركة القتال بالسلاح الأبيض – بأحجار قبورهم.

ولن يدخلوا بيروت.

# حينما تتحول الدبابة الإسرائيلية

## إلى مطبعة وإلى إذاعة

لم يوظف الهواء - ضد ثورة وضد شعب. وضد وطن. كما يوظف الآن في محاولات هستيرية عنصرية وصلت إلى حد الجنون الصهيوني بكل عناصره الأميركية والعربية - التي أصبحت الصهيونية، قسمة رئيسية في وجهها - من أجل التحريض على إبادة شعب واقتلاعه من شرايين أطفاله، كما يوظف الهواء الآن مستخدماً كل إمكانات الاحتلال الصهيوني على مستوى الخريطة اللبنانية.

لقد توقف - موقتاً القصف العسكري الصهيوني - الذي رمى بكل ثقله - الذي هو ثقل المنجزات العسكرية الأميركية لإبادة الفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين - ليبدأ قصف جوي من طراز وحشي آخر - هو قصف قذائف الورق الإسرائيلية - التي رمتها طوال يومين متتاليين - ولن تتوقف وهي تواجه صمود القرار الفلسطيني الوطني اللبناني المشترك.

• فبعض مراسلي الإذاعات الأجنبية المسموعة - في زمن فقدان وصمت هواء وطني عربي نظيف قد أخذوا على عاتقهم - مسؤولية

مواصلة إلقاء المنشورات الصهيونية على المواطنين اللبنانيين والفلسطينيين في كل نشرة إذاعية - أليس هذا ما يفعله تماماً - الصهيوني جورج بشير - من إذاعة مونت كارلو. في كل رسالة إذاعية يوجهها إلى الدائرة الصهيونية المختصة في إذاعة مونت كارلو.

لقد أصبح اسم - جورج بشير - معروفاً تماماً - لدى كل مقاتل وراء متراس - ولكل طفل اتخذ من صدر أمه - وسادة له وهو في الملجأ.

غير أن الطائرات الإسرائيلية لا تلقي فقط - كل يوم - منشوراً - اسمه جورج بشير - لتقديم البشارة - المدفوعة الأجر مقدماً - باقتراب موعد الاقتحام الصهيوني فهناك منشورات أخرى متواصلة - تقوم إذاعة (الكتائب) بإلقائها في كل نشرة. تساندها بالطبع مدفعية الهواء القذر ومن التلفزيون الشرعي أو تلفزيون الشرعية. والتي تقوم بتحليل المنشور الصهيوني وإبراز إبعاده - التصفوية بالطبع - والتنظير له - ووضعه في مستوى الدبابة الإسرائيلية.

وما يجرى لبنانياً - يجرى بطريقة أو بأخرى على مستوى هواء الأنظمة العربية - الذي أصبح مؤكداً أن تواطؤ الهواء العربي على الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية - هو جزء من تواطؤ الهواء الأميركي والإسرائيلي واللبناني الشرعي - وأن الهواء العربي للإذاعات العربية - يدور كل ساعة دورة كاملة في هواء إذاعات العدو الأميركي - الصهيوني.

هــذه الحملة على الهواء التـي تقوم بإلقاء نشــراتها الإخبارية – العنقوديـة والفوسـفورية – والتواطـؤ العربـي – بل أدخلـت منذ الأيام الأولـى للمذبحـة الصهيونيـة الأميركيـة وبالعكس – برنامـج الترويج لحملة ضد الاتحاد السوفيتي.

وكأن كل شروط الاستسلام الأميركية – الإسرائيلية الشرعية – العربية – لا تكفـي للذبح العسـكري والسياسـي لمنظمة التحرير الفلسـطينية وللحركـة الوطنية اللبنانية فجاءت الحملة ضد الاتحاد السـوفيتي لكي تكــون خاتمة شروط الاستسلام التي يراد فرضها علينا.

أي إن العدو يريد تجريدنا من كل شيء من السلاح، ومن الموقع – ومن القرار السياسي – ومن الاتحاد السوفيتي أيضاً.

وسـط دخــان الهواء القــذر – دخـان الحملة المـوبـوءة – يرتفع صوت ياسـر عرفات – لكي يشـجب هذه الحملـة – التي لا تخدم غير الذين يفرضون علينا شروط الاستسلام.

***

مـن حـق كل طفـل فـي الملجأ أن يسـأل، من حـق كل مقاتـل وراء المتـراس أن يسـأل عـن الصديـق – ومـن مسـؤولية القيـادة أن تقــدم الأجوبة وهي تعرفها جيداً – على المستوى الفلسطيني واللبناني.

وسـتأتي الأجوبـة. فتراب المعركة كما يقولـون هو تراب مقدس لا تضيع فيه أبداً مواقف الأصدقاء ولا الشرفاء ولا دماء المقاتلين. عندها سـوف تصفـر دمـاء كثيرة. وســوف تصفر أصـوات كثيرة – وسـوف تسقط رموز كبيرة أيضاً.

## الصوت الذي اسمه توفيق طوبي

تحت قبة - الرايخستاغ اللقيط - الكنيست - تحت ذلك السقف الذي يشبه الخوذة الفولاذية الدموية فوق رأس دبابة إسرائيلية جاء الصوت الفلسطيني، الذي لم يكن غائباً قط. جرحته الأسلاك الشائكة، ولكنه ظل يرتفع والدم يسيل من العينين، حاولت الجريمة الصهيونية أن تغرقه في دمه. ولكنه كان دائماً يطفو. كلما قتلوا الصوت الفلسطيني أكثر، كان هديره يشتد وتتسع أكثر فأكثر مساحة الأراضي التي يغطيها، حتى أصبحت مساحة الصوت الفلسطيني هي مساحة الكرة الأرضية.

هذا الصوت الذي مشى إلينا فوق طوابير الدبابات الإسرائيلية - مشى فوق سطوح العواصم العربية التي تشبه أبراج الدبابات الإسرائيلية. مشى فوق الخيانات الكبيرة والصغيرة، مشى فوق حناجر وخناجر العرب الصهيونيين أو الصهيونيين العرب. مشى فوق كل ما هو عار ووحل وصمت، مشى وجاء إلينا كرغيف الخبز الساخن.

كالورقة البيضاء التي ترفض أن تلطخها توقيعات الذين سقطوا أو

الذيـن فـي طريقهم للسـقوط فأوتوسـتراد الثورة الفلسـطينية قد أصبح يتسـع للبشـرية التقدمية جمعاء. لأنه الأوتوسـتراد الـذي فتحته للثورة الفلسطينية - الدبابة الإسرائيلية التي تقعي الآن وراء متاريس بيروت.

هذا الصوت يجيء إلينا الآن. إنه صـوت الفلسـطيني توفيق طوبي، في وجه الجنرال الصهيوني أرييل شارون.

كان صـوت توفيـق طوبي يـدق الهواء الـذي أصبح مثقـلاً بدخان فلسطين ولبنان، مثقلاً بالدم واللهب وهو يرتفع في وجه جنرال الدخان والدم واللهب - شارون - إنك مجرم حرب. كذاب وقذر.

فـي الدبابة الإسـرائيلية - التي هي الكنيسـت الإسـرائيلي - سـمع شـارون ما لم يسمعه من قبل. فالعرب الصهيونيون الذين يقعون تحت ظل الدبابة الإسرائيلية قد عودوه لغة أخرى.

العـرب الصهيونيـون أو العـرب الكتائبيـون الـذيـن أصبحـت لحيتهـم معلقة فـي يد الكتائبي بشـير الجميل. والذين لـم يبق لهم غير الكتائب وأشباه الكتائب.

إنه صوت توفيق طوبي. صوت الفلسطيني، الذي لن تستطيع الدبابة الإسرائيلية أبداً أن تذبحه بجنازيرها، ولا تستطيع الطائرة الإسرائيلية أن تقصفه بكل أنواع قنابلها الأميركية - العربية.

إنـه الصوت الذي جاء والذي سـوف يظل يجيء يقول لنا: البشـارة وسط دخان قذائف الورق. والأصوات التي أصبح يرتفع منها الـدخان الأميركي - الإسرائيلي دخان الصهيونية العربية كلها مجتمعة في مكبر صوت واحد.

## الأيدي والأرجل المصنوعة

### من فقاعات الصابون

في أعقاب هزيمة ١٩٦٧، انطلقت حملة أميركية - إسرائيلية رجعية - تصرخ في مكبرات الصوت، أن السلاح السوفييتي كان هو السبب الرئيسي في الهزيمة، وأخذ عشرات الخبراء العسكريين - الذين لهم ارتباطات مباشرة بالمخابرات المركزية الأميركية - والموساد الإسرائيلي - وأجهزة المخابرات الرجعية العربية الأخرى يعقدون المقارنات ويستخدمون التحليلات العسكرية ويلتقطون التصريحات من أفواه جنرالات الحرب أميركيين وإسرائيليين وأوروبيين الخ.. وكلها تريد أن تقودنا إلى النتيجة التي تقول: إن الاتحاد السوفييتي قدم لمصر وللعرب أسلحة دفاعية؟ علماً بأننا لم ندافع قط بالمستوى المطلوب عن ترابنا الوطني. هنا أوهناك وعلى الجبهات الثلاث.

أراد جنرالات العدوان أن يقنعوا القارئ العربي، أن الدبابات السوفييتية تسير إلى الخلف ولا تتقدم، أوأنها تبقى في مكانها الدفاعي؟!

البندقية السوفييتية بالرصاص السوفييتي فقط. بل كان يحشو بندقيته ومدفعه بقرار الصمود السياسي فوق أرض المعركة. وثبت لجميع المقاتلين والمناضلين الوطنيين والمواطنين معاً، أننا لم نحطم الدبابة الإسرائيلية ونجرها بعقال، ولا بحبل ميكروفون ولكن بقذيفة سوفييتية، وأننا لم نسقط الطائرة الأميركية - الإسرائيلية - بآلة المنجنيق ولكن بالسلاح السوفييتي. وأن صواريخ الكاتيوشا هي التي ضربت وجه العدو فأحرقته وليس بواسطة (سرب من الطير الأبابيل).

***

إن الحملة ضد السلاح السوفييتي ينقضها المقاتلون اللبنانيون - الفلسطينيون قبل غيرهم فهم الذين بهذا السلاح اتخذوا قرار الصمود وراء المتاريس. ولكن هذه الحملة التي تسير على ساقين من فقاعات الصابون الأميركية - الإسرائيلية - تريد أن تكمل الوجه الآخر لمؤامرة فرض الاستسلام السياسي على الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، من خلال حملات التشكيك والافتراء الدنيء على موقف الصديق وعلى سلاح الصديق. وهذه المؤامرة يكفي لإسقاطها ضربة من ماسورة بندقية مقاتل.

ولقد ضرب المقاتلون بمواسير مدافعهم وبنادقهم وجه هذه الحملة ذات الوجه والفم واليد - الأميركية - الإسرائيلية.

التي سوف تكون فوق فلسطين ذات يوم أصبح يقترب أكثر فأكثر.

فوق أبراج الرمل تستطيع أن ترى كل شيء بوضوح تستطيع أن ترى العالم كله.

***

الهواء أحمر فوق الأوزاعي، أحمر هو الهواء الذي يتنفسه المقاتلون، هنا عليك أن تتعلم القراءة والكتابة من جديد.

***

– هل هذه الأبراج من الرمال هي التي بقيت لنا؟

يسأل أحد المقاتلين.

– هناك أبراج كثيرة في كل شوارع العالم. قد لا تكون من التراب والحجارة كأبراج الأوزاعي ولكنها العمق الذي تمتد إليه جذورنا.

أحد المقاتلين يشير بيده هنا وهناك وهو يقول:

– لقد حرثنا الأرض وزرعناها بشتلات من اللهب.

مقاتل آخر يقول:

زرعنا البطاطا اللبنانية – الفلسطينية، الجديدة. ربما في غير موسمها هذه هي هديتنا للدبابة الإسرائيلية.

***

ما الذي يمكن أن تقوله لهم؟ إنهم ربما لا يعرفون الكثير عن جغرافية العالم وعن التضاريس الطبيعية للكرة الأرضية ولكنهم يعرفون شيئاً واحداً: إن هذا البرج من الرمل يصارع ناطحة السحاب

الأميركية – الإسرائيلية. إن هـذا البرج من الرمل والحجارة هو البيت الـذي لن يتركه الفلسطيني طعاماً للدبابة الإسرائيلية.

لقـد علق عليه كـل ما يملك، البنـدقية وبعض القذائف وروح فلسطين، التي ترفرف كالراية فوق كل برج.

***

تعـود هنا شجرة نخيل ضخمة قد تمددت وسط الشارع فوق الإسفلت، تحس بالحزن على هذا المارد الممدد بطوله فوق الإسفلت.

ولكن لماذا لا يقاتل النخل أيضاً. يمكن زرع نخلات جديدة. ولكن المقاتل حينما يقتلع من الأرض ما أصعب أن يزرع مرة ثانية.

***

برج الرمل شراعي
والأوزاعي
الأمواج على جبهته
تتدلى عنقوداً
دمك الجاري ليس وحيداً
ودمي ليس وحيداً .

## أسطورة ياسر عرفات

فتح هنري كيسنجر فمه أخيراً وطالب حكومة دولته الإسرائيلية بأن تقوم بسرقة أسطورة ياسر عرفات – من الشعب الفلسطيني – التي أضعفت منظمته إلى أبعد حد؟ وستضعف أكثر.

لا أدري كيف يمكن أن يوضح هنري كيسنجر كيف يمكن أن – تتم – عملية سرقة أسطورة ياسر عرفات من الشعب الفلسطيني؟ وبأي أسلوب وعلى أية صورة، يمكن أن تتم عملية السرقة.

إن كيسنجر يعرف تماماً ما قامت به الآلة العسكرية الأميركية – الإسرائيلية مع عملية تحويل لبنان بفلسطينييه إلى محرقة مذبحة، في عملية إبادة جماعية مهندسة ومبرمجة ضد الشعب الفلسطيني كله في لبنان. من الطفل إلى ياسر عرفات الذي ينصح كيسنجر بسرقة أسطورته؟

فما هي أسطورة ياسر عرفات التي يريد كيسنجر سرقتها.

إن كيسنجر ينصح حكام الآلة العسكرية الإسرائيلية بمواصلة ذبح الفلسطينيين حتى الوصول بالسكين إلى عنق الأسطورة.

ولأن الأسطورة أو البطولة لا يمكن أن تسرق - فالسرقة تعني القتل وكأن عصابة بيغن - شارون ينقصها من يحرضها على قتل الفلسطينيين فيأتي كيسنجر ويقدم نصيحة باغتيال الأسطورة.

ونحن الفلسطينيين لا نعرف ياسر عرفات كأسطورة، ولكننا نعرفه كخبز وكبارود. المقاتل والقائد السياسي والعسكري والروحي أيضاً لهذه الثورة أو الحرب الوطنية الفلسطينية ضد حرب الإبادة والتصفية العسكرية والسياسية الأميركية الإسرائيلية.

إن الشعب الفلسطيني الذي أصبح ياسر عرفات بالنسبة إليه - هو شرفه الوطني ونشيده الوطني أيضاً - يعرف كيف يدافع عن أساطيره وعن رموزه، فما دام البطل وجه شعبه ووجه ثورته - فلا قوة تستطيع اقتلاع جذوره من تراب الوطن، لأن البطل يموت فقط حينما يخلع هذه الجذور ويحملها على كتفيه ويحاول أن يمشي بها.

إن كيسنجر - بروحه العدوانية الصهيونية، بروحه القذرة، لا يمكن أن يعرف روح الشعب الفلسطيني أبداً - فعلاقة القاتل بالذبيحة هي علاقة السكين بالذبيحة ولا توجد هناك علاقة أخرى.

***

خلف متاريس بيروت خلف متراس ياسر عرفات - أساطير كثيرة وعلى رأسها أسطورة بطل كل الشعوب.

- جندي كل الأوطان - وراء حامل رايات كل الثورات - المدافع وراء متاريس بيروت.

# كيف لم تسقطوا؟

كيف لم تسقطوا ؟
ثلاثون يوماً ولم تسقطوا.
أصبح عمر عاركم
شهراً
ولم تسقطوا.

***

راياتكم !
يا لعار الهواء.
راية مكنسة
وراية منكسة
وراية مسوسة،
ولم تسقطوا.

***

خوذاتكم

مكبرات صوت للفلك

ولم تسقطوا.

كحل عيونكم

بصق بيروت

في عيونكم

ولم تسقطوا.

تأكلون

روث دبابة العدو

تشربون – بولها –

ولم تسقطوا..

حلبتُمُ

عيون أطفالنا

طاسة للعدوّ

فاضت بالحليب

ولم تسقطوا.

***

دق العدو أسنانكم

مسامير في نعله

ولم تسقطوا..

قص جلودكم،

ألقى جلود وجوهكم

مناشير

بيضاء وخضراء وسوداء

وحمراء

مثل ألوان أعلامكم

ولم تسقطوا .

***

ضاجعكم

على عروشكم،

تيجانكم كانت

على رؤوسكم.

بالنياشين صدركم مرقط

ولم تسقطوا .

لحستم نطفة العدو،

حبلتم من العدو،

ولدتم للعدو

دبابة جديدة

ولم تسقطوا..

كل هذا ولم تسقطوا.

## أيتها الطفلة... كيف عرفت أنك فلسطينية

لا يمكن أن تكره أكثر، تجعلك الكراهية ترتعش إلا حينما تنظر إلى طفلك فترى عينيه ترتعشان في عينيك وفي فمه سؤال معلق كقطرة الدم:

- أنا فلسطيني، فلهذا فأنا للذبح. وما أصعب أن تقول لطفلك الفلسطيني - وهو يعرف: قد قطعوا الكهرباء والماء وأغلقوا الصيدلية والمستشفى، من الصعب أن تقول له والطائرات الإسرائيلية تحوم فوق رأسه. وتقصفه.

بالإضافة إلى مدافع البوارج وزوارق الطوربيد ومدافع الدبابات من الصعب أن تقول للطفل الفلسطيني - الذي خاض هو وأمه وأبوه - الحرب الوطنية الفلسطينية - أطول الحروب وأكثرها دموية وحصاراً وأطولها باعاً أيضاً في الحرق والذبح.

من الصعب أن تقول لطفلك - وهو يسمع ويلتقط الكلمات من هنا وهناك ويعرف أن عملية الذبح تتم والعواصم العربية - نائمة تحت جنازير الدبابة الإسرائيلية - فلا تفتح عاصمة فمها - إلا مطالبة لنا بالانتحار. أو تفتح فمها - لتضع الماكياج على برامج ومخططات

الاستسلام – أو تقوم بتحسين ظروف الرحيل من بيروت واختيار الوسيلة الأنسب والجديرة بهندي أحمر.

من الصعب أن تبعد طفلك عن الراديو – حتى لا يسمع عملية شحذ السكاكين في هواء الإذاعة الشرعية – أو الكتائبية الشرعية – وبعض الإذاعات التي تدور في هوائها.

من الصعب أن تقول له: إن الفلسطينية في هذه الحرب الوطنية – هي فيتنامية وجزائرية هذا العصر. وإن الجرافات الإسرائيلية نفسها تساهم الآن في تعبئة العالم كله ضد الفاشية الإسرائيلية العسكرية والسياسية معاً.

وإنه للمرة الأولى – والثورة محاصرة صامدة وراء متاريسها ومقاتلة – يحدث مثل هذا الانعطاف التاريخي الكبير.

حتى الأميركيون الذين قدمت لهم معلبات الدعاية الصهيونية – عن ديمقراطية إسرائيل وهمجية العرب – أصبحوا يشاهدون على شاشة التلفزيون لمدة دقيقتين أو أكثر شريطاً بالأسود والأبيض وصوت المذيع وهو يقول:

هذا الشريط الأبيض والأسود حذفته الرقابة العسكرية الإسرائيلية.

***

هذا هو العلم الحقيقي لإسرائيل التي أخذت الآن شكل القرصان الدموي – واللص الذي يسرق الكهرباء والماء، والعسكري الذي

يسـوق الدبابة الأميركية – ثم الـرقيب العسكـري على أخبار الصحف ودور الإذاعة والتلفزيون في بلد أسياده الأميركيين.

***

سـيكبر الطفل الفلسـطيني ويعـرف أن هذا الحصار وهـذا الصمود البطولـي البـــارز كان مــرحلـة الانطـلاق من تـــراب المنفى – أي منفـى – إلـى تـراب الوطـن.

## أقراص منع... الكتابة؟!

إذا كان للسفر سبع فوائد... فهناك أيضاً سبع فوائد للصمت نجملها في هذه الوصايا السبع بالنسبة إلى الكتاب والشعراء ومحرري الصفحات الثقافية ونقاد القصائد اليومية.. الخ والذين كانوا إلى وقت قريب.. قبل العدوان - الأميركي الإسرائيلي - ديوك الصفحات الثقافية.. وانقلبوا الآن إلى دجاجات تبيض في الخوذات الفولاذية للاحتلال الإسرائيلي - الكتائبي - وبعد أن كانوا ينكشون بأقلامهم الورق والحبر.. أصبحوا ينكشون مزبلة الصمت بمناقيرهم وأرجلهم.. ويبتلعون حبات أقراص الصمت أو حبات أقراص منع الحمل بالكتابة طبعاً..

أما الوصايا السبع لهذا الطابور فهي:

أولاً: حافظ على رأس قلمك في الأيام الصعبة للقذائف والانفجارات والغازات.. وليكن قلمك دائماً في الملجأ ولا تكترث للضجيج الذي يدور فوق رأسك.. فقلم في رجل كلب حي، أفضل من قلم في فم أسد ميت.

ثانياً: إذا كان لا بد وأن تخرج بقلمك من الملجأ.. لكي تقع عليك عين كاتب أو شاعر أو مواطن.. ولكي تؤكد أنك لا تزال في الشارع.. فبادر بالهجوم المباشر المركز على أولئك الكتاب والشعراء الذين استسهلوا عملية الكتابة إلى الدرجة التي أصبحوا يكتبون فيها يومياً.. وهذه اليومية إساءة كبرى للأدب الذي يجب أن لا يكون يومياً بل سنوياً أو أقله شهرياً ..

ثالثاً: إنك معرض لكي تجلس هنا أوهناك في هذا المجلس أو ذاك.. واعلم نفعك الله بوصايانا أن المجالس تختلف بعضها عن بعض.. فلكل مجلس موقفه السياسي ومن أجل هذا عليك أن تأخذ العبرة والموعظة من الماء الذي لا طعم ولا رائحة ولا لون له.. وأهم من كل هذا أن الماء يأخذ شكل الإناء الذي يوضع فيه.. وهكذا عليك أن تأخذ شكل المجلس الذي توجد فيه.. أي بالتحديد أن يأخذ قلمك شكل المحبرة التي يوضع فيها. وفمك شكل الكأس.

رابعاً: لا تصغ أبداً إلى ما يقوله الكتاب والشعراء اليوميون والمحرضون الشوارعيون والهوائيون ضد صمتك، واعلم - أبقى الله رأس قلمك بين كتفيه - أن هؤلاء الكتاب والشعراء.. الخ هم ضد القراءة والكتابة معاً..

وبشكل خاص ضد القراء، وهؤلاء اليوميون يساهمون في عملية الحصار على القراء فكل قصائدهم ومقالاتهم أصبحت مليئة بأكياس الرمل والمتاريس ولفافات القطن ومحشوة بأصوات عربات الإسعاف.

أما أنت فإنك تحترم القارئ إلى الدرجة التي سكت فيها عن الكلام معه والكتابة له.. وتستطيع أن تدافع عن نفسك وأن تقول مثلاً: هذه (الجريمة) لا يمكن التعبير عنها بأية كلمات.. أو هذه المأساة شلت أصابعي ودخانها ملأ حنجرتي.. وأنك أصبحت لا تطيق أن تشم رائحة البحر. وأنك تصاب بالغثيان حينما ترى ورقة بيضاء..

ولا مانع من أن تكسر قلمك استنكاراً للعجز عن التعبير والكتابة.

خامساً: إذا كنت قد انتقلت بمصعد كهربائي أو مائي أو مشياً على قصائدك إلى الشرقية - الكهربائية المائية - ستجد هناك أعضاء الأوركسترا كاملة - من رواد مقهى الاكسبريس - قد سبقوك إلى المقهى الآخر.. بعد طول إقامة في المنطقة الغربية.. هناك سوف تسمع أن الذباب هنا.. يشبه النحل.. خصوصاً الذباب الآتي من وحل جنازير الدبابة الإسرائيلية.. وسوف تسمع الكثير مثل رفض التصفية والتجزئة والانقسامية؟؟ وأن تسمع مثلاً.. أن لبنان له عاصمة واحدة هي بيروت.. وأن الانتقال تم من شارع إلى شارع.. وأننا من كتاب الوفاق الوطني..؟؟ ومع نزول الجيش.. وأننا ضد الاحتلال الفلسطيني..؟

هكذا يصبح لك وجهة نظر.. فلا بد أن يكون لك دائماً وجهة نظر.. أليس الصمت هو وجهة نظر أيضاً..؟ أليس تسليم القصائد إلى الحواجز الكتائبية والإسرائيلية هو بالنسبة إليكم وجهة نظر..؟

سادساً: إذا ما فاجأك أحدهم بدعوة لحضور اجتماع طارئ للكتاب والمثقفين الخ.. وحوصرت ولم يكن هناك مفر من الذهاب..

فاذهب وليكن صوتك هو الأكثر ارتفاعاً.. وشعاراتك الأكثر ضجيجاً وعجيجاً.. ارفع مثلاً شعار - مثل - الدم قبل الحبر.. والجراح قبل الورق.. وقل لهم: إذا كنتم جادين حقاً فارموا أقلامكم واحملوا البنادق وهيا إلى الخنادق.. وامض مندفعاً إلى الملجأ.. وانتظر وسوف يطول الانتظار.

سابعاً: في كل الأحوال.. حذار من التوقيع في أيام الحصار.. واعمل على أن ينساك الناس.. وحينما سينقشع الدخان.. ما أكثر الأبواب التي تمكنك الدخول منها مرة ثانية إلى القارئ.. فلا يزال وللأسف الشديد هناك قراء كانوا في ملاجئ الصمت مثل طراز كتابهم وشعرائهم.. وللوصايا السبع بقية.

## سيصبح... العالم فلسطينياً

لعل رئيس الأركان الإسـرائيلي رفائيل أيتان في مقدمة الصهيونيين الذيـن كشـفوا الوجـه الدمـوي لآلـة الحـرب الأميركية - الإسـرائيلية الجاثمـة خلف متاريس بيـروت ضد منظمة التحرير الفلسـطينية حينما قال لمجلة عسكرية إسرائيلية:

- «إن هـذه الحرب الحالية حول بيروت هي بالفعل النضال حـول أرض إسـرائيل. كمـا إنها الحـرب ضد العـدو الرئيسـي الذي تواجهه إسرائيل على هذه الأرض منذ مئة عام»؟؟؟

أما العدو الرئيسـي الذي تـواجهه الآلـة العسكرية الإسرائيلية ومنذ مئة عام، فهو الشعب الفلسطيني الذي لم يشأ أيتان أن يورد اسمه.

وبالفعـل فهذه الحـرب، هي الحرب الوطنية الفلسـطينية بمسـاندة وبمشـاركة قـوى الحركـة الوطنيـة اللبنانيـة. وبالـذات حصـار بيروت والمعارك النهارية والليلية التي حولها وفيها.

وأيتـان وقبلـه النازيـان الصهيونيـان شـارون وبيغـن وبقيـة أعضاء

العائلة العسكرية الصهيونية يعرفون جوهر الحرب التي يخوضها الفلسطينيون بمثل هذه الصلابة والوعي والفدائية التي لم يسبق لها مثل في كل الحروب الأربع الماضية التي خاضتها الآلة العسكرية الصهيونية.

والعصابة الصهيونية تعرف تماماً أن متراس الرمل بالنسبة إلى الفلسطينيين تغطيه خريطة الوطن الفلسطيني، الذي يمكن أن تضربها المدافع الإسرائيلية وتحدث فيها الفجوات. ولكنها الخريطة التي لا يمكن أن تقوم الثورة الوطنية بتسليمها لبيغن وشارون – ومن ثم لريغان.

والعصابة الصهيونية تعي دائماً أن استبسال الفلسطينيين الذي يواجهونه للمرة الأولى في مثل هذه الحرب الطويلة – هو استبسال الفلسطينيين في الدفاع عن كل منجزات نضالهم الدامي ومكتسبات تضحياتهم البطولية، عبر المئة سنة الأخيرة التي يتكلم عنها رفائيل أيتان.

ومن أجل هذا لم تترك النازية الصهيونية سلاحاً عسكرياً أو سياسياً لم تستخدمه في هذه المعركة التي تدور حول بيروت عاصمة البنادق والخنادق معاً، مدعومة بكل أسلحة الشرعية الكتائبية. كل هذا من أجل طحن إرادة المقاتل الفلسطيني وتحطيمه من الداخل تماماً بعد إغراقه بالدم أو ذبحه بالشظايا.

فالمطلوب الآن بالنسبة إلى إسرائيل هو ذبح الفلسطيني سلاحاً وروحاً. ذبح الثورة الفلسطينية ورأسها منظمة التحرير الفلسطينية

من ماســورة البندقية إلى المـوقف السياسي والفكري. وبالتالي إظهار الفلسـطينيين للعالـم – في صورة المقاتل الذي يلقي ســلاحه فــوق كيس الرمل ويمضي – ورأسه قد سقط عن كتفيه.

ومـن أجـل هذا فالمقاتل الفلسـطيني يعرف في معركـة بيروت عما يدافع؟ ويعرف أنهم حين يطلبون تركيع المسـتقبل الوطني الفلسـطيني كلـه، وبالذات فـي هذه المرحلة التي أصبحت فيها الفلسـطينية قسـمة رئيسـية فـي وجه هــذا العصـر، وأصبحـت بين ذراعـي الـرأي العام العالمي، وأن الفلســطينية في هـذه الحـرب بصمودها الفلسـطيني – قـد أحدثت وتحدث – شـرخاً فـي جيش الدفاع الإسـرائيلي؟ تزداد مسـاحته بازدياد عـدد المتمردين على قيـادة آلة الحـرب، وبزيادة عدد المتظاهرين الإسرائيليين – من الجنود والضباط أنفسهم.

والفلسطينية تصمد وتقاتل الآن. تعرف أن على نتائج هــذه المعركة يتوقف مصير التـراب الــوطني الفلسطيني المقبل، وأن تاريخ فلسطين الجديـد يكتب الآن عـلى متاريس بيروت.

والفلسطيني الذي يقاتل كتفاً إلى كتف مع الوطنية اللبنانية – يعـرف لبنانيـاً – أن الصمـود خلف متاريس بيروت – هـو صمود لبنان الوطني كله – ضد (المــوسـولينية الفاشية الكتائبية الجديدة)، ضد أن يتحولوا من مواطنين إلى رعايا تحت نير الاحتلال الكتائبي – الإسرائيلي.

***

هـذا الصمود هـو الذي جعل العالم كله ينتفض – جعل فلسـطين تمشـي في كـل شـوارع العالم، وجعل الراية الفلسـطينية ترتفع رويداً رويداً في سارية العالم، وسيصبح العالم كله فلسطينياً.

## عموا صباحاً أيها الكتاب..؟

عموا صباحاً أيها الكتابُ.

لعلكم بخير أيها الكتابُ..؟

لعل أقلامكم بخير أيها الكتابُ..؟

لعل نقادكم بخير أيها الكتابُ..؟

لعلكم قد اكتشفتم صبغة جديدة

لشِعْركم أيها الكتابُ.

لعلكم تسمعون نشرة الأخبار..؟

لعل أطفالكم لا يخافونَ..؟

مثلما يخاف أطفالنا..

حين يسمعون نشرة الأخبار..؟

لعلكم تذكرون أسماءنا؟

وتذكرون المطارات.

والموائد الطويلة الأنخابْ؟

لعلكم تذكرون في ليالي الانتخاب؟

سهراتنا،

والشعارات التي تكدست

على الحيطان والأبواب..

والقصائد العريضة الأكتاف

المهتزة الأرداف .

هذا المساء، أين تسهرون؟

نخب من، سوف تشربون؟

أيها الكتابُ؟..

لمن سوف تكتبونَ؟..

رسائل الإعجاب؟..

أيها الكتابُ؟...

لشاعر مضرب عن الطعام

في البحرين.

أو لكاتب – أصيبَ بالإسهال –

في البنجابْ..؟

أو ناقد هنا أوهناك.

حطّ على أوراقه الذباب.؟

كثيرةٌ هي الأنخاب.

أيها الكتابُ...؟

طويلةٌ قائمةُ الثورات.

أيها الكتابُ..؟

أيها الكتابْ..؟
نحن لا نريد منكم دماً
ولا نريد حبراً أيها الكتابْ
عموا صباحاً.
أيها الكتابْ...؟

## أورادور... والنازية الجديدة

قــريــة- أورادور - الفرنسـية التـي أحــرقهـا النــازيون فـي الحــرب العالمية الثانية، والتي أشـار إليها الرئيس الفــرنسي ميتران في معرض إدانته لجرائم المحارق والمذابح التي اقترفتها الآلة العسكرية الإسرائيلية في لبنان. وإن أكثـر مـن قريـة - أورادور - لبنانية أحــرقها الفاشـيون الصهيونيون - أثارت هيسـتريا الطغمه الشريرة الحاكمة في إسرائيل - وعلى رأس العصابة بالطبـع - رئيـس الدولة؟ فأخذت مذكـرات الاحتجاج تتوالـى على قصر - الاليزية - الفرنسـي - واتهمت الدوائر الإسـرائيلية العليا - الرئيس الفرنسي بأنه أهان شرف المقاومة الفرنسية ضد النازية..؟!

والآن، أي شـرف على سـطح هذه الأرض لم تلطخه الـدبابة الإسرائيلية بجنازيرهـا؟؟ أي جريمة ارتكبهـا النازيون القدامى - ولـم يرتكبها النازيون الصهيونيون الجدد؟

ولا نريـد المزيـد من التفصيل حـول كل هذه الجرائم التي لم يسـبق لهـا مثيـل فـي تاريخنـا المعــاصر. فملـف الجرائم الإسـرائيلية - ضد الشـعب اللبنانـي والفلسـطيني وضـد منظمـة التحريـر الفلسـطينية بـالـذات. أصبح

مفتوحاً على كل أرصفة هذا العالم. أصبح مفتوحاً في هواء الإذاعة وعلى شاشة التلفزيون وعلى ورق الجرائد.

غير أننا فقط سنضيف إلى هذا الملف واقعة جريمة جديدة تجسد تماماً عنصرية وصهيونية ونازية هذه الدولة التي تم بناؤها على ظهر دبابة أو جناح قاذفة قنابل.

هذه الواقعة هي تصريح جديد لجنرال نازي أصبح معروفاً باسم الجنرال أيتان الذي صرح قائلاً:

وبالكلمة الواحدة:

« - لو صادف وعثرنا تحت قبة المسجد الأقصى، على بئر نفط أو على بئر ماء لكنت أيدت تماماً وبلا تردد، أية فكرة تستهدف هدم المسجد الأقصى».

ويستطرد جنرال الخرائب أيتان قائلاً:

« - علينا أن نضرب بالأيديولوجيا عرض الحائط وكذلك بالحملات الفكرية والرومانتيكية عرض الحائط، ولتذهب كل هذه الحملات إلى الجحيم، فنحن نريد الأشياء التي نستطيع لمسها أو قياسها فقط؟»

***

هل جرح تصريح الصهيوني - أيتان - مشاعر - الصهيونيين العرب؟ الذين يعرفهم بيغن وشارون وأيتان الخ جيداً وتعرفهم جيداً أيضاً - وقبل العصابة الإسرائيلية الحاكمة - عصابة البيت الأبيض.

لا أعتقد ذلك، فالذين أصبحت الدبابة الإسرائيلية - الكعبة

الجديدة - التي يطوفون حولها، ينتظرون دحرجة الرأس الفلسطيني من فوقها، لا يهمهم أبداً لا هدم المسجد الأقصى ولا كنيسة القيامة.

***

غير أن هناك ما اكتشفه الرأي العام العالمي تحت قبة الكنيست، لقد اكتشف العالم أكبر آبار العنصرية والفاشية، وأكبر سرداب لأكبر عصابة عسكرية عرفها التاريخ؛ وستقوم البشرية التقدمية جمعاء بهدم هذه البئر العنصرية وما ينطبق على المسجد الأقصى - بكل مقاييس النضال العادل والشريف ضد ذلك الحجر.

## وأدرك الدبابة الإسرائيلية الصبَاح
### فسكتت عن الكلام المباح..؟!

شهرزاد الجميلة. استبدلها مجلس حرب الحاخامات الكتائبي – الشمعوني بشهرزاد أخرى. هي الدبابة الإسرائيلية، التي كانت تقص على حاخامات لبنان الآخر – طوال ليالي العدوان الطويلة الماضية – قصص المذابح التي اقترفتها وجنازيرها تدور فوق التراب اللبناني، فوق جسده وفوق الجسد الفلسطيني.

الحاخامات كانوا يسمعون. وكان الفرح يهزّهم. الفرح الدنيء الذي يشبه الذبابة الزرقاء.

ليلة تمضي وتأتي ليلة أخرى. وجنازير الدبابة الإسرائيلية تدور. ومواسير المدافع تدور. وقذائف البوارج تدور. ومواسير وصواريخ الطائرات تدور. وشمعون يحتضن ادوار حنين. والجميل يحتضن ولديه. وفؤاد بطرس يحتضن فؤاد بطرس. وفيليب حبيب يحتضن الجميع وعلى رأسهم بالطبع شاقل الشرعية.

الاحتضان يطول. وشهرزاد الإسرائيلية تواصل حكاية المذبحة

والمحــرقة، والحصــار وحرب المـاء والكهربـاء وقـرص الأسـبرين وزجاجة الـدم ولفـافة القطن وحبة القمح.

غير أن فـرح الحاخامات أخذ يتبدد وضحكتهـم التي كانت تختلط بدوي جنازير الدبابة الإسرائيلية قد أخذت تتلاشى.

فليلـة بعـد ليلة تأتـي.. وحبات مسـبحة الــدوتشـي الصغير - بشـير الجميــل - أصبحـت كلهـا فـي جيـب الـدبابـة الإسـرائيلية. والدبابـة الإسـرائيلية في جيب أميركيـة أصبحت مثقوبة هي الأخـرى. من انفجار حمـلات الاسـتنكار العـالميـة للحـرب الأميركيـة - الإسـرائيلية - والمسانـدة التي لم يسـبق لهـا مثيل لمنـظمة التحـرير الفلسطينية، حتى يمكن القول: إن العالم قد أصبح يتنفس الهواء الوطني الفلسطيني المقبل.

***

ليلـة بعـد أخـرى نجـيء. والفـــرح تحـول إلـى تــوتـر وقلـق واضـــطراب في الجهـــاز العـصبي السيــاسي لـعـــائلة الحاخامات. فالدبابة الإسرائيلية اللعبة قد توقفت خلف متاريس بيروت، حفرت لها حفرة، وقبعت فيها، ولا تريد التقدم، رغم كل نداءات الشـاقـل بفرض الحـــل العسكري.

***

ليلة بعد ليلة تمضي. والدبابة الإسـرائيلية التـي حـــولها الكتائبيون والشــمعونيون وغيرهم إلى شـهرزاد دموية بالنسـبة إليهم، لا تلقي لهم بـرأس الثورة الفلسطينية من فــوق برجها.

والليالي تتوالى وتتوالى الأيام. ويدب الصدأ في الدبابة الإسرائيلية. كما أصبح يدب في عظام عصابة الحاخامات. وكل ليلة تمر وكل يوم يزداد يكسب الفلسطينيون الوقت وتنضم إليهم الطوابير العريضة في مختلف أنحاء العالم، وبيروت المحاصرة أخذ يعود إليها الألوف من الهاربين من فردوس الكتائب والدبابة الإسرائيلية. وبيروت المحاصرة أصبحت تقوم فيها التظاهرات ليس ضد الفلسطينيين – ولكن ضد الحصار الإسرائيلي والأميركي والكتائبي.

***

لقد أصبح مجلس الحاخامات محاصراً الآن. أو أنه بدأ يحس بالحصار. وحينما تكون شهرزاد دبابة إسرائيلية فعليه أن لا ينتظر رأساً غير رأسه، يتدحرج من فوق برج الدبابة الإسرائيلية.

## منشورات منتصف الليل

خلال حرب المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الهتلري لفرنسا تداعى إلى المعركة كل كتاب وشعراء وفناني ومفكري فرنسا وألفوا جبهة عريضة واحدة ضد قضية مركزية واحدة هي النضال ضد الاحتلال النازي وطرح الصراعات الفكرية والسياسية بعيداً عن مجرى الصراع.

وقف بول سارتر المفكر الوجودي إلى جانب بول أيلوار الشاعر الشيوعي. لم يقل سارتر إنه سيدافع عن حدود فرنسا الوجودية؟ ولم يقل أراغون إنه سيدافع عن حدود فرنسا الشيوعية. ووقفت مع الوجودي والشيوعي الجهات الأربع كلها لفرنسا الأدبية والفكرية. وخاض الجميع معركة الحرب اليومية ضد الاحتلال النازي دفاعاً عن نشيد وطني واحد هو: المارسلييز. وعن نهر واحد هو: نهر السين. وعن متحف واحد هو متحف اللوفر. وقفوا يدافعون عن فرنسا واحدة هي فرنسا الجميع في مواجهة الاحتلال الهتلري وضد شعار – ألمانيا فوق الجميع؟

في هذه الأيام الدامية ضد النازية - حيث كانت المقاومة تحلق شعر - نساء الاحتلال وشعر كتاب الاحتلال أيضاً. كتب بول أيلوار قصيدته التي أصبحت معروفة باسم - قصيدة الحرية -.

وكانت قصيدة الحرية هي قصيدة المعركة ضد النازية. كلمات بسيطة عن الفرنسي الذي يكتب كلمة الحرية على سطح نهر السين، على زجاج الشبابيك، على أعمدة الكهرباء وعلى جذوع الأشجار. على الكراسات المدرسية للأطفال، على جبين الحبيبة وعلى ذراعها وعلى موسيقى وكلمات نشيد المارسلييز.

ونشر أيلوار قصيدته - الحرية - في نشرة المقاومة الفرنسية التي كان اسمها - منشورات منتصف الليل - ومن النشرة انتقلت القصيدة إلى حيطان شوارع باريس، ومن حيطان باريس إلى حيطان فرنسا كلها.

وجاء الوقت والحصار يشتد على الاحتلال الهتلري لفرنسا - إذ أراد الحلفاء أن يلقوا بمنشورات على فرنسا - من أجل المزيد من المقاومة والصمود، فلم يجدوا أفضل من قصيدة الحرية لبول أيلوار لكي يملأوا بها خزانات الطائرات. وطبعت القصيدة وطارت بها طائرات الحلفاء وألقت بها فوق فرنسا. وكان في هذا مجد الشعر وشرفه وكبرياؤه.

ونحن الكتاب والشعراء في - المعركة - لا نطلب من الطائرات العربية - التي صدئت محركاتها وهي جاثمة على بطونها في المطارات والتي لم تلق حتى علبة كبريت فوق العدو، لا نطلب منها

أن تقوم بإلقاء قصائد المعــركة والمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي.

كل مـا نريـده هـو أن تتحـول - جريدة المعركـة - إلى طائـرة تلقي بقصائدنـا ومقالاتنـا والزوايا التي نكتبها عـلـى المقاتلين القراء خلف المتاريـس علـى امتدادهـا. ومـن أجل أن تتحـول جريـدة المعركة إلى طائـرة فعلينا أن نتعلـم كيف نطير إلى متاريس المقاتلين - إلى شـوارع بسـطاء النـاس، فهؤلاء وحـدهـم الذين يعلّمون الشـاعر والكاتب كيف يجعل جناحيه أطول وأطول يوماً بعد يوم.

# عودة الكاتيوشا إلى الجليل

في الوقت الذي لم تجف بعد على حبل غسيل الآلة العسكرية الإسرائيلية - التصريحات العسكرية الإسرائيلية، التي على رأسها البلاغ الذي يقول: إن كل شيء قد أصبح هادئاً بالنسبة إلى العملية الحربية النازية الصهيونية الجديدة - وعلى امتداد خطوط القوات الإسرائيلية المحتلة، وبالذات البلاغ الذي يؤكد - متبوعاً بالعديد من البلاغات من بيغن إلى شارون إلى أيتان - على أن الآلة العسكرية الإسرائيلية قد حققت السلام للجليل - الذي كان البيان العلني أو اللافتة الظاهرة للغزو - تعود زغاريد القوات الفلسطينية - اللبنانية - المعروفة باسم - زغاريد الكاتيوشا إلى المستوطنات الصهيونية في الجليل. تعود لكي تحرق تصريحات العصابة العسكرية الإسرائيلية في حنجرتها.

إن بيغن وبطانته الفاشية، لم يضمنا السلام الصهيوني للجليل فقط. ولكنهما لم يعطيا السلام قطّ ولا الأمان للقوات الإسرائيلية المحتلة على امتداد خطوطها، لم يجعلا قطعة من الأرض آمنة للكعب

الحديدية الإسرائيلية، ابتداء من قلعة الشقيف فصور وصيدا فالنبطية وصعوداً إلى البقاع، وتتويجاً بمتاريس بيروت.

وهذه الحرب المجيدة الطويلة - ليست فقط أطول الحروب ضد الآلة العسكرية والسياسية الأميركية - الإسرائيلية - ولكنها أقسى وأشد الحروب دموية - على المستوى العسكري والسياسي معاً.

ففي هذه الحرب يقاتل كل ما هو جميل وشريف وشجاع في هذا العالم، تقاتل القذيفة والرصاصة والموقف السياسي والكلمة والتظاهرة، يقاتل التاريخ والجغرافيا في معركة واحدة مشتركة - ضد كل ما هو قبيح وصهيوني ونازي.

إنها من جديد حرب مقلاع داوود الإسرائيلي - ضد جوليات الفلسطيني، ولكنها حرب في صورة جديدة - فمقلاع داوود هو الآن طائرة أميركية - وأحجاره هي قنابل انشطارية وعنقودية وفوسفورية وكيميائية الخ. ومقلاع جوليات الفلسطيني - هو الآن إرادة المقاتل اللبناني - الفلسطيني - وإصراره على المضي في الصمود والقتال وأحجار مقلاع جوليات المقاومة. هو كل ما في شوارع هذا العالم من نوافذ وأحجار وأعمدة مصابيح الكهرباء وأسلاك التليفون - وصفحات الجرائد وهواء الإذاعات - التي لم يلطخها الوحل.

إنها الحرب التي لن ينتصر فيها حجر في مقلاع داوود الإسرائيلي ضد جوليات الفلسطيني.

***

جوليـــات الفلسـطيني الآن خلف متاريس بيـروت والحجر الذي يضعـه فـي مقلاعه الآن، هو قذيفة كاتيوشـا يضـرب بهـا، وجه بيغن - الـذي أراد أن يضع الجليل الفلسطيني قناع سلام فوق وجهه الدموي.

## القرابين في الخطوط الأمامية

### إلى روح الشهيد فضل الضاني

ليس بالبندقية وحدها يعيش المقاتل الفلسطيني - والثورة لا يقاس طولها فقط بطول ماسورة المدفع أو طول القذيفة. فإلى جانب البندقية - يوجد الموقف السياسي - أو السلاح الأبيض السياسي، - الذي هو القتال المباشر ضد عقلية العدو وضد مؤامراته السياسية والإعلامية والثقافية - ضد حربه النفسية - وضد كل صور وأشكال - قذائف الورق السياسية التي يقوم بإسقاطها على الثورة - والتي من أجلها وظف كل آلته العسكرية ذلك التوظيف الدموي الذي أثار غضب واحتقار الرأي العام العالمي كله.

***

والشهيد الأخير - وليس آخر الشهداء المقاتلين بالسلاح الأبيض السياسي - فضل الضاني - هو أحد قرابين الوطن الفلسطيني في الخطوط الأمامية - في الحرب الفلسطينية التي تمتد خطوطها من

متاريس بيروت إلى كل عاصمة في العالم ترتفع فوقها راية الثورة الوطنية الفلسطينية.

***

قنابل حارقة ضد مخيمات الفلسطينيين وقنابل حارقة ضد ممثلي فلسطين في هذه العاصمة أو تلك، لم تعد الآلة العسكرية النازية الصهيونية – تستخدم المسدسات الكاتمة للصوت في معركة تصفية الفلسطينيين في منظمة التحرير الفلسطينية – بل القنابل ذات مكبرات الصوت، التي تعلن للعالم كله كما لم يسبق إعلان من قبل – أن السلالة النازية الهتلرية لم تنقرض بانهيار الصليب المعقوف في الحرب العالمية الثانية، فلقد تسلل من تحت أنقاض الرايخستاغ الثالث من زحف لبناء الرايخستاغ الرابع – الذي أصبح معروفاً باسم – الكنيست.

***

دموية تدور طاحون الحرب العسكرية ودموية أيضاً – تدور الحرب السياسية حرب الاصطياد الدموي الصهيوني الذي انطلق في مطاردة الوعول الفلسطينية.

***

فضل الضاني

لا تزال النيران تشتعل في جسده كأنه المنارة فوق نهر السين في باريس، المنارة التي تقول: قاتلوا ضد الهتلرية وقاوموا صليبها المعقوف. الآن لا بد من فرنسا جديدة ثانية، ضد صليب معقوف جديد. قطع رأس النجمة وعلقه في راية.

وهكذا فحين يرفض مثل هذا العسكري الإسرائيلي اللامع هذه الحرب القذرة فهو ينضم بصوته ويده إلى عشرات الألوف من الإسرائيليين مواطنين وجنوداً ومثقفين ومفكرين ومجندي السلام في داخل إسرائيل وخارجها الذين يرفضون مثله هذه الحرب، ويطالبون بوقفها ومحاكمة الذين أراقوا كل هذا الدم الإسرائيلي.

***

عقيد يقذف بطاقة حرب الصليب المعقوف مضافاً إليها نجمة داوود في وجه شارون وبيغن، لتطير البطاقة وتضرب وجه ريغان. وعقيد آخر يقود طائرته ليقصف كل ما يراه واقفاً فوق الأرض، وهو يعرف أن هناك فوق الأرض أشياء اسمها: الأطفال والنساء والجرحى والعزل.

بين العقيد الذي استقال، والعقيد الذي نذر حياته للتدمير والقتل، تتسع الخريطة الفلسطينية وتمتد حدودها، ويدور الصراع الدموي أيضاً، بين عقليتين، بين فكرين ورؤيتين مختلفتين لوجود إسرائيل نفسها. إما أن تظل قنبلة في فم مدفع – طائرة مغيرة – حتى الأوراق التي تقذفها تطالب فيها بالاستسلام – تشكل غارة جديدة – وإما تنكسر ماسورة المدفع فوق عنق العصابة الإسرائيلية العسكرية والسياسية.

## ١٥ = ١

مع مواصلة حربنا الوطنية لأيامها ولياليها. وتعاظم الصمود البطولي الذي يرتفع إلى مستوى المعجزة. وانعطاف المزيد من البشرية التقدمية إلى متاريس الثورة الوطنية الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، بحيث أصبحت كل قذيفة إسرائيلية، مثل حجر مغناطيس، يجذب المزيد والمزيد من الرأي العام العالمي، إلى متاريس بيروت، تزداد هستيريا الآلة العسكرية الإسرائيلية، آلة بيغن – شارون – وحاخامها الأكبر – ريغان – إلى الدرجة التي يزداد فيها بيغن وعصابته غرقاً في وحل الصهيونية يوماً بعد يوم.

فبيغن يعلن للعالم كله، وقد أزاح نهائياً عن وجهه قناع – رئيس الوزراء؟!، وظهر بوجهه العنصري الصهيوني النازي القبيح. حينما أعلن أنه على استعداد لقتل عشرة لبنانيين مدنيين وخمسة فلسطينيين مدنيين آخرين مقابل ذبح مقاتل فلسطيني واحد.

***

أي تصريح دموي يقرأه العالم. ويسمعه من بيغن، الذي تخطى بهذه البربرية، كل برامج الإبادة النازية في الحرب العالمية الثانية.

خمسة عشر مدنياً لبنانياً وفلسطينياً مقابل مقاتل فلسطيني واحد؟. هكذا أصبح ابن أوكار الصهيونية الفاشية، ولقيطها - صياد رأس المقاتل الفلسطيني، الذي أصبح مثل المنارة الطويلة ذات الأنوار الهائلة، التي تضرب وجه بيغن وعصابته - صباح - مساء.

***

إنه رأس المقاتل الفلسطيني، الذي لن يتحول إلى تفاحة مسلوقة في صحن بيغن وريغان والصهيونية والرجعية العربية المتواطئة مع آلة الحرب العسكرية والسياسية الإسرائيلية - الأميركية.

***

إنه رأس المقاتل الفلسطيني مقتل بيغن وعصابته، لأن هذا الرأس ليس هو الرأس المعزول، المطل وراء كيس الرمل. إنه الرأس - الينبوع، بالنسبة إلى كل من هو شريف وجميل وشجاع في العالم.

وسيبقى هذا الرأس بين الكتفين، لأنه المنارة الجديدة للبشرية التقدمية جمعاء.

## دعوة عاجلة إلى عقد مؤتمر للقمة
### على درجات سلم البيت الأبيض؟؟

بدأت أمس في واشنطن ثلاث زوجات لبعض الدبلوماسيين العرب، إضراباً مفتوحاً عن الطعام، حتى فك الحصار عن بيروت الوطنية؟

هذا هو - خبر الأخبار - أو أرذل العمر بالنسبة إلى الأنظمة العربية - أو بتعبير آخر تجسيداً لأكثر المراحل انحطاطاً وتبعية في تاريخ الأنظمة العربية - المنحط والتابع - وبالذات حينما يكون على رأس الإضراب المفتوح سيدة هي زوجة أكبر حقول النفط العربية.

أول ما تقرأ الخبر، لا تحس برغبة في الضحك ولا الشماتة ولا الاستهزاء ولكنك تحس بشيء واحد هو الاحتقار الذي لم يسبق له مثيل - لأولئك المشبوكين بالدبابيس أو المسامير أو الصمغ إلى كراسي الأنظمة التي يرأسونها أو يملكونها - علماً بأنه لم يعد هناك من كراسي لهذه الأنظمة - التي اكتفت - بالإقعاء - على درجات سلم البيت الأبيض.

هـل لـم يعد بإمكان هـذه الأنظمة أن تفعل شـيئاً – وهي التي تملك كــل المفاتيح – من برميل النفط إلى الطائرة – مروراً بالدبابة والبارجة وحتى الغواصة – وبنك البنوك.

ألـم يعـد في هـذه الأنظمـة – ولا نقول بطولهـا وعرضهـا – فهـذه الأنظمـة المنحطـة والتابعـة لم يعـد لها طـول – فلقد غاصـت قاماتها فـي الحفـرة التي تفتحها الجرافة لكي تربض فيها الدبابة الإسـرائيلية – استعداداً للقصف – ولـم يعد لها – عرض بعد أن هتكت الدبابة وزورق الطوربيـد والطائـرة الإسـرائيلية عــرض أرض نظامهـا – وعــرض سمائها – وعرض بحرها.

ونعــود فنقول: ألم يبق غيـر أن تضــرب زوجـات السـفراء ويعتصمن في حديقة مواجهة للبيت الأبيض في واشنطن.

هــذا الإضراب – حتى وإن كــان مسـرحيـة من مشهد واحد – فهي مسرحية – الكوميديا السوداء التي تنقلب على الأنظمة العربية.

والسـؤال الآن: لماذا لا ينضم إلى هذا الإضراب المفتوح للسيدات الدبلوماسـيات – زوجات السفراء العرب – السفراء العرب أنفسهم – ثـم يمتد الإضراب ويرتفع مسـتواه حتى إلى زوجـات وزراء الخارجية العـرب – ويزداد المسـتوى ارتفاعاً حينما ينضم إلـى الإضراب وزراء الخارجيـة أنفسـهم – وبعد ذلك يأتـي خبر الأخبـار بانضمام زوجات ملـوك وسـلاطين وأمراء ورؤسـاء الأنظمـة العربية – والـذي يجب أن يتبعـه – انضمـام الملـوك والسـلاطين والأمـراء والرؤسـاء العـرب –

فتكتمل الصورة. وأنا أقترح أن يتم هذا الإضراب الجماعي المفتوح لا في حديقة مواجهة للبيت الأبيض - بل على درجات السلم للبيت الأبيض نفسه - بحيث يجلس على كل درجة الملك أو الأمير أو الرئيس مع حاشيته وحريمه - وهكذا فقط سيتمكن الملوك والرؤساء العرب من عقد مؤتمر قمة فوق العادة لهم.

هذه هي الفرصة التاريخية - التي يمكن أن تقوم فيها الأنظمة العربية بما يحفظ كرامتها - ويصون شرفها الوطني ودورها الجغرافي والتاريخي.

ملاحظة واحدة فقط: الرجاء عدم اصطحابكم الفرق الموسيقية لعزف الأناشيد الوطنية - قبل افتتاح حفلة الإضراب المفتوح عن الطعام فهذه الأناشيد الوطنية - هي لنا نحن العرب - كما أن لنا اللونين الأحمر والأخضر في أعلامكم ولقد تركنا لكم اللونين الأسود والأبيض - أم يجب علينا أن نقول: لقد تركنا لكم العلم الأزرق - الذي أصبحتم تعرفونه جيداً..؟

# صباح الخير أيتها المتاريس

منك نبدأ

مثلما الأشجار تبدأ

مثلما التيار يبدأ

مثلما الوردة في النجمة تبدأ

مثلما القطرة في الغيمة تبدأ

مثلما – جبريل – يبدأ

سورة المتراس يبدأ

باسم كيس الرمل:

إقرأ !

• صباح الخير أيها المقاتلون – صباح الخير لدوالي النار التي تتهدل عناقيدها على أكتافكم، صباح الخير لأيديكم المرصعة بالشظايا والمصبوغة الأصابع بالنار الفلسطينية التي جاءت من أنبل سلالات البراكين.

## الوحوش

هـذه المذبحـة التـي اسـتمرت إحدى عشـرة سـاعة، مثل سلسـلة المذابـح والمحـارق الماضيـة التي وضعت بيـروت الوطنية فـي قـائمة فـرصوفيا وهيروشـيما ولينينغراد ووضعت المثلث الإسرائيلي الدموي بيغن – شـارون – شـامير في قائمة مجرمي الحرب وقتلة الشعوب على مر العصور القائمة التي أصبح على رأسـها اسـم العدو الألد للبشـرية – ريغـان الأميركـي، هذه المذبحة لا يجب أن تمـر وأن تهال عليها أنقاض بيروت.

وهذه الجريمة التي اقترفتها إسـرائيل الهتلرية – يجب أن لا تتوقف مطاردتهـا حتـى إنزال العقاب الذي تسـتحقه هذه الـوحـوش النازية – التـي كأنمـا انطلقت من أكثر المغاور والسـراديب ظلاماً ودموية ورعباً في مراحل التاريخ كله.

إن محكمـة – نورمبـرغ – جديـدة لا بـد وأن تتألـف لمحاكمة هذه العصابـة الدموية – التي اغتصبت من الـــرأي العام العالمي ذات يوم أسـود من أيام التاريخ راية ونشـيداً وطنياً وعاصمة – ثم ما إن اسـتوت

فوق الأرض التي سرقتها حتى ضربت بالقذائف الحارقة، وجه العالم الذي قدم لها حجر الأساس. ومضت إلى أقصى ما يمكن أن يمضي إليه وحش تطل أنيابه ومخالبه، بكل خسته ولؤمه وحشرجاته النفسية وقواه العقلية المختلة.

يجب أن ينهض الكتاب والمفكرون والمثقفون وكل الذين لم تحترق ضمائرهم فتتحول إلى كرات سوداء من المطاط للقيام بحملة المحاكمة لعصابة – بيغن – شارون – شامير – وأن تكون بيروت التي ذبحها الهتلريون الإسرائيليون، هي المحكمة والمحاكمة التي يقف خلف أنقاضها – الوحش الإسرائيلي – وأن يحل مكان اسم – نورمبرغ – اسم بيروت.

ونحن لسنا في حاجة لاستدعاء شهود الإثبات، فأنقاض وخرائب وحرائق بيروت، التي كانت ذات يوم مدارس ومستشفيات وبيوتاً وشبابيك، ونحن لسنا في حاجة مرة أخرى لأي شاهد – فالمحروقون والجرحى المقصوفون، في المستشفيات والذين يعدون بالألوف – هم شهود الإثبات. وعلى منظمة التحرير الفلسطينية أن تبادر إلى احتضان هذه المبادرة، وتوجيه النداء إلى كل شرفاء العالم من مفكرين وكتاب وقياديين اجتماعيين وأنصار سلام إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بوضع هذه المحكمة في مجال التطبيق العملي.

وأعتقد أن الطريق إلى هذه المحكمة العالمية، للوحوش الإسرائيليين، يجب أن يسبقها مؤتمر عالمي لكل المفكرين والمثقفين

تنبثـق منه تلك اللجنـة التي تضع المحكمة في إطارهـا العملي، وتضع العصابة الإسرائيلية الفاشية - في القفص - فلم يعد لمثل هؤلاء القتلة موطئ قدم بين البشـر، بعد كــل ذلك الإصرار الدموي الذي لم يسـبق لقاتل - أن مارسه - ضد مدينة وضد شعب.

هـذا مـا يجب أن يفعله العالم ضد هـذه العصابة - حتى لا يأتي يوم يقول فيه أطفال العالـم - الذين سـيأتون - ويعرفون تاريخ تلك المذابح - لمـاذا كان علـى آبائنـا أن يحملوا عــار الصمت على القتلـة- ولماذا تركوا لنا هذا الإرث من العار؟

## أغنية إلى طفل في الملجأ

نَمْ يا ولدي نَمْ
غرق – مناحيم – في حمام الدم
نَمْ يا ولدي نَمْ
عينك لن تصبح – زراً –
في معطفه بعد اليوم.
نَمْ يا ولدي نَمْ
تحرسك – الكاتيوشا –
نَمْ.
نَمْ يا ولدي نَمْ.
أغنية في الفم.
ووجهك مصبوغ بالدم.
نَمْ.
نَمْ يا ولدي نَمْ.
كيس الرمل سريرك.

نَمْ.

نَمْ يا ولدي نَمْ.

نَمْ

نَمْ.

## هذه المعركة

هـذه التجربة تجربة الجبهة الوطنية للكتاب والصحافيين والمثقفين الفلسطينيين الذين شاركهم فيها بعض الكتاب العرب لا بد وأن تستمر بشكل أو بآخر.

فعلـى صفحات المعركـة تجمع كتّاب وشـعراء وصحافيون ما كان بالإمـكان أن يتجمعـوا أبـداً لـولا ظـروف الحـرب الوطنية ضـد الآلة العسكرية - الأميركية - الإسرائيلية.

***

كتّـاب من مختلـف الاتجاهات والتنظيمات وجدوا أنفسـهم تحت وطـأة الغـارات وقذائف البـوارج والدبابـات يكتبون بقلـم واحد فوق ورقة واحدة، وجريدة واحدة اسمها المعركة.

سـنوات عجاف طوال مـرت بين المثقفيـن والكتّاب الفلسـطينيين وحـرب الطواحين الهوائيـة - حرب قذائف الـورق مسـتمرة بينهم - كما تستمر الحروب بين القبائل والعشائر.

فـي ذلـك المناخ السـيئ السـمعة ترعرعـت طحالب كثيـرة - فوق

تلك المستنقعات، وبين تلك الصحارى من الأشواك ترعرعت ونمت قطعان من الثعالب والضفادع والذئاب والضباع وأصبحت الحياة الثقافية لا تطاق.

وجاءت الآلة العسكرية الإسرائيلية – ومع انتشار دخان قذائفها – وجد المثقفون والكتاب الفلسطينيون أنفسهم – كانت الرؤيا واضحة بالنسبة إليهم كما لم تتضح من قبل، وحينما فحصوا حقيقة الخلافات والصراعات التي كانت بينهم – وجدوا أنها لا تصمد لهبة من الدخان.

هكذا لعبت جريدة المعركة دورها في عملية توحيد الكتاب والمثقفين ومن أجل هذا، فمثل هذه التجربة – لا بد وأن تستمر وتتطور – ولا بد أن تأخذ مداراً جديداً في المكان الذي يمكن أن تلعب دورها فيه.

إن مأساتنا الدائمة، كانت تكمن في أننا نضع دائماً انتصاراتنا في الثلاجة – أو نلقي بها في المحرقة وهذه التجربة يجب أن تكون خارج الثلاجة وخارج المحرقة.

# لقاء صحفي خاص بجريدة الوطن الكويتية
## مع الشاعر معين بسيسو حول يومياته
## «٨٨ يوماً خلف متاريس بيروت»

### المقدمة

- لقد كتب عن بيروت الكثير وسوف يكتب عنها أكثر فلا بد من الخروج باستنتاجات لها أهمية تاريخية كبيرة لحركة التحرر العربية ورأس حربتها المقاومة الفلسطينية، فالضحايا جسيمة والدم يطلب الشاهد إن لم تعقد المحكمة.

غير أن ثمة أشياء (صغيرة) تنسى ولا شك في خضم بحر الأحداث الكبيرة، ويأتي الشاعر معين بسيسو ليحول بحسه الشعري المرهف تلك الأشياء (الصغيرة) إلى أحداث جسام، أي ليبعث بالجزء الحياة فيكون كالكل وبذلك تصدق المقولة الروسية عن الحرب الوطنية العظمى في بيروت أيضاً: (ما من أحد ينسى وما من شيء يمحى من الذاكرة). فطائرات الورق التي كان الأطفال الفلسطينيون واللبنانيون يلعبون بها ما بين غارة إسرائيلية وأخرى، وزجاجات الماء

التـي كان المقاتلون يهربونها لتبلبل شـفاه الجرحـى، وقناني الدم التي كان الصهاينة يمنعون دخولها إلى بيروت المقاومة حتى تفسـد، وفندق الكساندرة في الأشرفية، وملجأ كلية الراهبات حيث الأطفال الجرحى، وحبـوب الأرز، لآلئ فقـراء بيروت، إن كـل تلك أشـياء صغيرة إذا ما قيست بحجم الجريمة المؤامرة أو بحجم المقاومة.

ولكن معين حوّل كل هذه الأحداث الصغيرة في يومياته التي نقدمها للقارئ الكريم إلـى رموز نحتها في ذاكرة المقاومة، وفي ذاكرة بيروت (لأننا نعيش عصر بيروت) كما يقول معين في يومياته.

ويطّلـع القـارئ خلال يوميات الحصـار على أسـرار كتابة القصيدة المشـتركة بيـن معيـن بسيسـو ومحمود درويـش وآراء (أبـو عمار) في الأدب والشـعر وراء المتاريـس، ويجـد أسـماء لـم تكـن معروفـة في الأدب والفـن صمـدت وقاومت وقاتلت لتثبـت أن الالتزام دم أيضاً، وصـراع مـع المـوت، وأخـرى (أنيقة) عاشـت (على سـاقية الحبر الفلسـطيني) فباعـت دمه (برسـائل الانتحـار)، (ووضعـت كي ترضي السلاطين الرموش المستعارة).

وتبقـى مسـألة التوحيـد بيـن اللفـظ والفعـل هـي المهمة الأشـق والأصعـب، (وحيـن يصبـح الوطن هـو الشـعر) فمعين بسيسـو الذي حمـل البندقيـة كل أيام الحصـار ليدافع عن عروبة بيـروت وعن الثورة الفلسـطينية لـم يـدع القلم جانبـاً (فظل النهـر لمجـراه أميناً). ففي الـوقـت الـذي كان يحمل البندقية كان يكتب شـعر المقاومة ويـومياته

ذلـك نشـيد الثورة الفلسـطينية وجـاء الآن لكي يدافع عن هذا النشـيد نشـيد الثورة الفلسـطينية وكذلك الأمر كان بالنسـبة إلـى الفنان الوطني المصـري عـدلـي فخـري الذي كتـب عشـرات الأغنيـات للمقاتلين الفلسطينيين قبل الغزو الصهيوني الفاشي المجرم لبيروت.

كان على عدلي فخري أن يدافع عن أغنياته التي كتبها قبل المعركة، وبذلـك واصـل الفنانـان اليونانـي والمصـري عمليـة الإبـداع الفنـي والدفـــاع عنه، ولكن هـــذه المـرة تحت نيـــران المدافع والقذائف والقنابل وفي الخنادق ووراء المتاريس ووسط المقاتلين على مختلف المحاور.

س: أنـت القائـل: (علمتنـي الزنزانـة السـفر؟ لمسـافات بعيـدة، وعلمتني أيضاً الكتابة لمسـافات بعيدة، فالسـجين دائماً يسافر بيده في الماء ويحاول الكتابة بصوته)

فماذا علمك حصار بيروت؟!

معيـن: لقـد علمتني بيـروت البسـالة والصمـود والتفانـي، بيروت الوطنيـة الشـجاعة الجميلـة التي حيث يتم تسـجيل هذا اللقـاء القصير تخوض شوارع بيروت أروع وأجمل ملاحم البطولة والاستشهاد، هذه المدينة الرائعة أثبتت أن العاصمة من الممكن أن تكون عاصمة صغيرة من الناحية الجغرافية، ولكن ببطولتها ومقاومتها من الممكن أن تتحول هـــذه العاصمة الصغيرة إلى عاصمة كبيرة لكل إنسان شريف ومناضل وشـجاع فـي العالم، وكذا كانـت العاصمة بيـروت عاصمـة المقاتلين

تحت التراب، إنهم يثبتون للعالم كله، بأن القتلة الذين لا يحترمون حياة الأطفال والنساء، لا يحترمون حتى موت الشهداء أيضاً، ولكن أولئك الذين كانوا تحت التراب لم تستطع قذائف إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية المهندسة الأولى لهذه الحرب والمسؤولة الأولى عنها أن تمحو من الذاكرة اسم شهيد واحد منهم مطلقاً، لأن اسم الشهيد أصبح «فلسطين» .

س: وهنا أتذكر أبياتاً من شعر أوزيريس تقول فيها:-

(ولو أنك ترحل إلا أنك تعود ثانية

ولو أنك تنام الا أنك تستيقظ ثانية

ولو أنك تموت إلا أنك تبعث مرة أخرى) .

معين: نعم كان ذلك ولكن هناك صورة أخرى، ما زالت راسخة في ذاكرتي، صورة امرأة فلسطينية كانت حاملاً في شهرها الأخير، ما زلت أذكرها وهي تركض بين الخرائب والحطام والقنابل تنفجر حولها باحثة عن سيارة تنقلها إلى المستشفى فقد حل المخاض، وولدت على الرصيف بمساعدة امرأة أخرى وحملت طفلها العاري إنها ولادة الحياة وسط الموت والدمار. المراسل: يقول محمود درويش:

«نريد الآن أن تصغوا لنا

فدعونا نتكلم:

نضع الليلة حداً للوصاية.

دمنا يرسم في خارطة الأرض الصريعة

كل أسماء الذين اكتشفوا

درب البداية

كي يفروا من توابيت الفجيعة

فدعونا نتكلم:

ودعوا حنجرة الأموات فينا

تتكلم !

وهنا ندع الكلام فيما يلي للشاعر المقاتل معين بسيسو ليتكلم وحده، ليقدم يومياته إلى قراء جريدة الوطن – تلك الوثيقة التاريخية الأدبية الدامية والجميلة معاً.

# ٨٨ يوماً خلف متاريس بيروت

كانوا الفعل فكانوا لغة الفعل. كانوا لغة المقاومة. ولسنوات طويلة اكتفينا أن نكون لغة ترجمة ولغة مترجمين. هكذا عرفنا لغة المقاومة: الفرنسية والاسبانية واليونانية والروسية. وهكذا فوجئنا ذات يوم بحدثين هز كل منهما حياتنا الأدبية - التي كانت دوائرها تتسع لكل لغات المقاومة - إلا لغتنا العربية نفسها.

مثل برعم الزلزال فتح في لغتنا الحدث الكبير الأول الذي قلب كل مفاهيمنا الأدبية وجعل قوس الصور الذهنية وقوس الانغلاق وراء النوافذ - قوس الممارسة الباطنية لصور الأدب وأشكاله - جعل كل هذه الأقواس - تأخذ شكل قوس قزح وصورته.

برعم الزلزال الأول - كان ملحمة أو قصيدة ذلك المقاتل الاسباني في جبهة الجمهورية الاسبانية الوليدة - الذي حاصرته مجموعة من الجنود الفاشيين الفرانكويين - وظل يدافع عن متراسه حتى الرصاصة الأخيرة - وحينما اقتحم الضابط الفاشي مع جنوده متراس ذلك المقاتل - وكان يخيل إليه أن وراء ذلك المتراس عشرات المقاتلين

فوجئ بأن ذلك المقاتل كان وحيداً وراء المتراس. وحينما سأله الضابط الفاشي عن أي شيء كان يدافع؟ أخرج المقاتل النصير من داخل قميصه كتاباً معفراً منقطاً بالدم وقال:

- كنت أدافع عن هذا الكتاب.

كان الكتاب الذي دافع عنه المقاتل الأسباني حتى الرصاصة الأخيرة - هو مسرحية غارسيا لوركا الشاعر الاسباني الشهيد وكانت بعنوان (ماريانا بنيدا)

هكذا عرفنا للمرة الأولى - ما هو دور الشاعر في المعركة وما هو دور الشعر - هكذا عرفنا للمرة الأولى - أن مقاتلاً يمكن أن يطلق الرصاص دفاعاً عن كتاب - أن المقاتل لا يحشو بندقيته باللهب والحديد فقط - ولكن بالقصائد أيضاً.

***

برعم الزلزال الثاني الذي هز حياتنا الثقافية والشعرية من الجذور - لدرجة الخلخلة - هو ذلك الطيار من الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ضد الفاشية - الذي حلق في سماء باريس المحتلة من الهتلريين - وألقى في شكل ألوف المنشورات قصيدة شاعر المقاومة الفرنسية - بول أيلوار - وكانت القصيدة بعنوان - الحرية -

الطيار الحليف لم يلق قنبلة فوق باريس ضد الهتلريين - ولكنه ألقى قصيدة - كان هذا هو مجد الشعر والشاعر - كان الإكليل على جبهة بول أيلوار - الذي لم يتكرر بعد ذلك إلا في لحظات نادرة من تاريخ الشعر والمقاومة.

هكـــذا عرفنا للمرة الأولى - أن طائرة يمكن أن تلقي بقصيدة فوق العدو - وتحرق روحه التي أصبحت على شكل الصليب المعقوف.

***

براعـم كثيـرة فتحـت في حياتنـا الأدبيـة بعد برعـم الزلـزال الأول والثـانـي - وخـلال الثمـانيـة والثمانيـن يومـــاً مـن أيـام الحصـار والمقاومة ضد الوحش الهتلري الصهيوني الــذي أخذت روحه شكل دبابة الميركافا - أو شكـل النجمة السداسية الزرقاء.

***

خلف المتاريس - كان السؤال يطرح نفسه بالنسبة إلينا نحن الكتّاب والشـعراء عـلى المستوى الفلسطيني واللبناني والعربي - كان الشاعر العراقي سـعدي يوسـف - هو الممثل الجميل للشعر العراقي - خلف متاريس بيروت - ولقد كان السؤال هو:

- إذا كان هناك كتاب يسـتطيع أن يدافع عنه هذا المقاتل أو ذاك في مختلـف الأركان والخنـادق، فأي كتـاب يمكن أن يدافـع عنه الجندي الإسـرائيلي الــذي خـرج بدبابة الميركافا من كهـوف ومغاور الهتلرية حتـى توقف عنـد أقدام بيـروت الغربيـة الوطنيـة - التي ارتبط اسـمها الوهاج إلى الأبد بشرايين المدافعين عنها...؟!

أجـل أي كتاب يمكن أن يكون جديـراً بالحياة ويمكن أن يدافع عنه ذلـك الجندي الإسـرائيلي - الـذي حمــل الختم الـدمـوي الأزرق - وراح يختم به بالعـلامة الزرقاء أذرع المناضلين الفلسـطينيين الأسـرى

في معسكر – الأنصار – قرب صيدا – تماماً كما كان يفعل النازيون في الحرب العالمية الثانية في معسكرات اعتقال – بوخنوالد وأوشفيتز النازيين؟

الشاعر الصهيوني – حاييم بياليك – الذي يعتبرونه – مؤسس الشعر العنصري الصهيوني – كتب تلك القصيدة المشؤومة التي يقول فيها:

– «... كنت أحس بالقلق دائماً وأنا في تل أبيب. كنت خائفاً من مثالية المجتمع اليهودي الصغير في ذلك الوقت؟ ولكن حينما نشرت الجرائد العبرية – خبر إلقاء القبض على لص يهودي – ضبط وهو يسرق بيت يهودي في تل أبيب – صرخت من هول الفرح – ليباركه الرب – الآن بدأنا نبني إسرائيل...؟!.

وبالطبع فقد جاءت دبابة الميركافا وزوارق الطوربيد والطائرات الحربية لتدافع عن قصيدة شاعرها – حاييم بياليك.

السؤال يطرح نفسه وتأتي رواية الكاتبة الصهيونية يائيل دايان – التي بعنوان – «الموت له ولدان» – لتقدم مرة ثانية ذلك الوجه العنصري للكتاب الذي قامت إسرائيل لكي تدافع عنه – .

في رواية الموت له ولدان – يكتب الجد الصهيوني خارج إسرائيل إلى حفيده الذي أصبح طيار طائرة فانتوم يقول له في رسالته: – «أعتقد الآن وأنت تحلق عالياً في طائرة الفانتوم...؟! أنك أصبحت أقرب إلى الله من جدك الذي يسكن في الطابق الثاني»...؟!

هكذا يقترب الصهيونيون من الله – وهكذا تأتي الطائرة الإسرائيلية لكي تدافع عن رواية يائيل دايان – ابنة الجنرال الدموي موشي دايان – هـذه الطائرة التي قصفت بيروت الوطنية – ولم تقترب من الله بالطبع – ولكنها سقطت في مستنقع الهواء...

غير أن السؤال الذي طرح حول الكتاب الذي يمكن أن تدافع عنه دبابة الميركافا الإسرائيلية يمكن أن يطرح على المستوى الفلسطيني ويمكن أن تأتي عشرات الكتب والقصائد التي يمكن الآن وبعد ثمانية وثمانين يوماً من المقاومة التي تشبه مقاومة الأساطير – أن تقول بفمها المصبوغ بالدم وصدرها المثقوب : إن هناك ما يستطيع أن يدافع عنه المقاتل الفلسطيني – الذي أخذ موقع ذلك الجندي الجمهوري في سنوات الحرب الاسبانية ضد الفاشية – بل إن أحد المقاتلين في موقع الأوزاعي التاريخي في بيروت الوطنية – فكر في وسيلة ما تصل بها القصيدة المشتركة التي كتبتها مع رفيق المتراس الشاعر محمود درويش وكانت بعنوان – «رسالة إلى جندي إسرائيلي وإلى الجنود الإسرائيليين» – التي قامت دار نشر في هولندا بترجمتها وطبعها وتوزيعها في أوروبا الغربية.

غير أن أسئلة كثيرة طرحت في أيام الحصار حول دور الكاتب والشاعر في المعركة – ولقد ظهرت تلك الأسئلة في شكل أكثر من مقالة كتبت حول هذه القضية.

وأنا على المستوى الشخصي لست ضد كتابة الوثائق الملحمية

عن الحرب الوطنية الفلسطينية – اللبنانية ضد الغزو الهتلري الصهيوني – وبعد انتهاء تلك المعركة – فلا بد لمراكز الأبحاث وأجهزة الإعلام المختلفة أن تواصل الكتابة عن أيام المقاومة المجيدة – التي أصبحت قسمة فيتنامية – جزائرية – في وجه الأدب العالمي الوطني والتقدمي كله.

غير أن السؤال يبقى قائماً. نعم لا بد من كتابة الوثائق الشعرية والسياسية والفكرية – وفي الوقت نفسه لا بد من الكتابة اليومية أيضاً – لا بد من القصيدة والمقالة القصيدة المركزة – لا بد من أدب المنشور لو صح التعبير – لكي لا يحس المقاتل أنه يقاتل بالرصاص وحده. أكتب هذا وأنا أتذكر ذلك الشعار الجميل المتألق الذي رفعناه في ذات يوم في بيروت والذي كان يقول:

– الثورة الفلسطينية رصاصة وقصيدة، وأنا مع القصيدة الرصاصة – القصيدة التي تحمل في أحشائها الوطن الفلسطيني كله في بضعة أسطر، ولقد تمكنا من كتابة تلك القصيدة. ونستطيع أن نكتب الآن باعتزاز وكبرياء أن الشعر الفلسطيني في تلك الأيام كان صديقاً للمقاتل الفلسطيني اللبناني، وهذا هو شرف الشعر.

وإذا كنت مع كتابة الوثائق الأدبية بعد المعركة، فأنا أيضاً مع المفهوم الذي يقول: إن الذين كانوا وراء المتاريس وصعدوا خلفها – هم الذين عليهم أن يكتبوا تلك الوثائق الأدبية – وأنا أعرف أن الكثيرين من الكتاب والشعراء – الذين هربوا في – الثلاجات –

من متاريس بيروت – سيخرجون علينا الآن من ثلاجاتهم – ويكتبون القصائد الطويلة التي تشبه كعكة من الثلج – ستكون القصائد الطويلة التي تشبه كعكة من الثلج – ستكون القصائد والقصص معفرة الوجه بالطبع – سيكون لها – ماكياج القصيدة المناضلة المحاصرة – ولكنها لن تستطيع أن تخدع أحداً.

***

إنني لست ضد قصائد شعراء الثلاجات وضد القصيدة الكعكة من الثلج فقط – ولكنني ضد قصيدة الصورة الذهنية والقصيدة الملفقة أيضاً – التي كتبت أيام الحصار أو التي جاءت إلينا من فوق أكياس الرمل.

لقد جاءت إلينا قصيدة الشاعر مظفر النواب. ولقد تصور في مقطع بارز منها – طياراً عربياً يتصدى بطائرته للطائرات الإسرائيلية أو يقوم بغارة ضد العدو.. الخ.

ولسوء حظ القصيدة فقد جاءت ونشرت في جريدة السفير – وفي يوم من أيام الغارات الإسرائيلية. وحيث سماء بيروت كانت مفتوحة تماماً إليها – مثلما كان البحر مفتوحاً بالنسبة إلى البوارج وزوارق الطوربيد الإسرائيلية.

ولم يظهر بالطبع في سماء بيروت ذلك الطيار الذي تخيله الشاعر مظفر النواب يغير ويتصدى ويرتفع كالشهاب وينقض كالنيزك.. الخ.

يرســـمه – رسـامنا الجميل المنـاضل – نـاجـي العلي – والذي كان يرسم يومياً لجريدة المعركة – جريدة المقاومة – في أيام الحصار.

أي ناقد أدبي وباحث يمكن أن يكتب عن صورة المقاتل الفلسطيني – اللبناني الذي رسـمه الكـاتب المناضـل النبيل الدكتور حسيـن مروة أو مهـدي عامل – أو عبد القـادر ياسين.

أي القصائد يمكن أن يكتبها شـاعر – يتصور المعركة – في مستوى القصائد – التي كتبها شعراء عاشوا المعركة – من طراز الشاعر العالمي الجميـل فايـز أحمد فـايزابن باكستان وبطلها ومن طراز محمـــود درويش. سعدي يوسف. شوقي بزيع. عز الدين المناصرة... سمير عبد البـاقي – وأي موت جميل – يمكن أن يقارن بالموت الجميل للشاعر علي فـودة الذي مزقته قـذيفة وهو يقوم بتوزيـع جـريـدة – الرصيف – التي كان رئيس تحريرها؟!

***

بلغنـا أن المغني والملحن الـوطني اللبناني – مارســيل خليفة – لحـن وغنى أغنية عـن بيروت. وكان مارسيل خليفه فـي باريس – أما المغني والملحن المصري عدلي فخري – فقد كان يحمل عوده ويغني لمتاريس المقاتلين.

من الممكن أن تكـون الكلمـات ذات أشواك وحـادة وقاسية ولكن ألم تكن أيام الحصار ولياليه شائكة ودموية ورهيبة؟؟!

غيـر أن الكتابـة ذات الألـف موجـة، الكتابة التي يمكن تسـميتها – بالكتابـة غيـر الشـريفة أو النزيهـة – جريمتهـا في مستوى جريمة قطع

الكهرباء والماء عن بيروت؛ إنها الجريمة التي لا يمكن أن تنسى أو تغتفر.

ربما من أجل هذا أكتب بهذا الأسلوب وبهذه الطريقة – هذه المقاومة لأيام الحصار – الثمانية وثمانين يوماً خلف متاريس بيروت.

***

وصلت إلى بيروت من مطار دمشق – في اليوم الذي أسقطت فيه الطائرات الإسرائيلية منشوراتها الزرقاء والصفراء التي كانت تدعو فيها المقاتلين للاستسلام. كان يوماً قاسياً على الهواء في بيروت.

كان على الكتاب والشعراء والصحفيين الفلسطينيين واللبنانيين والعرب الذين وجدوا في بيروت المحاصرة – أن يقوموا بالرد على منشورات الطائرات الإسرائيلية.

أول ما وصلت إلى بيتي نظرت إلى شرفات البناية المواجهة – كانت حبال الغسيل تمتد مثقلة بمختلف الثياب – كان ذلك قبل قطع الماء عن بيروت الوطنية.

كان حبل الغسيل بشارة من بشائر المقاومة.

حينما دخلت إلى بيتي أول ما نظرت إليه كان جدار الصالون – حيث علقت في صدره صورة فوتوغرافية لي وأنا أقدم سيف الشعب المجري إلى ياسر عرفات.

كانت ابتسامة ياسر عرفات ملء – الجدار. لم أر ياسر عرفات ذلك

الفلسطيني الشجاع المقاوم مثلما رأيته في تلك اللحظة – وهو يحمل ذلك السيف.

كانت الصورة الوحيدة في بيتي لياسر عرفات – وربما الصورة الوحيدة لياسر عرفات وهو يحمل في يده سيفاً، وكان سيفاً كالنهر الواقف على قدميه. ولقد ظل النهر الفلسطيني واقفاً على قدميه.

***

اجتمع بعض الكتاب والشعراء والصحفيين الفلسطينيين واللبنانيين والعرب في مكتب مجلة – الكرمل – التي يصدرها اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ويرأس تحريرها الشاعر محمود درويش. وكان قرار الرد على منشورات الطائرات الإسرائيلية هو إصدار جريدة المعركة، وكان شعارها المجد للمقاومة، وهو مطلع قصيدة طويلة لي: قد أقبلوا فلا مساومة.

المجد للمقاومة.

كان المشرف الفني عليها هو الصحفي الوطني المصري عبد المنعم القصاص الذي تولى عملية الإشراف الفني على مجلة الطليعة المصرية في عصر جمال عبد الناصر، أما رئيس التحرير فكان لملف التاريخ واسمه: زياد عبد الفتاح مدير وكالة الأنباء الفلسطينية(وفا) لجريدة المعركة. كانت جريدة صدى المعركة التي صدرت في دمشق، وكان يحررها مجموعة من الكتاب والشعراء الفلسطينيين والسوريين وعلى رأسهم الكاتب يحيى يخلف الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

لن تدخلوا بيروت

كل كيس رمل..

كل صخرة

كل موجة

في بحرها تابوت..

لن تدخلوا بيروت

***

لن تدخلوا بيروت

نحن في انتظاركم...

قد شق كل طفل صدره

قنبلة..

انظروا قلبه فوق كفه

قنبلة.

والعصافير في الشبابيك

حبة القمح صارت رصاصة

في الحوصلة..

لن تدخلوا بيروت

***

لن تدخلوا بيروت

نحن لم نعد نعيش

عصر العواصم المكحلة..

نحن لم نعد نعيش في

عصر العواصم المذهبة..

إننا نعيش عصرنا العظيم

الذي اسمه

بيروت...

لن تدخلوا بيروت..

وكل موجة

في بحرها تابوت.

لن تدخلوا بيروت.

***

إننا نعيش عصرنا العظيم،

عصرنا الذي اسمه:

بيروت.

لن تدخلوا بيروت.

***

وبالفعل لم يدخلوا بيروت إلا بعد أن رحل المقاتلون الفلسطينيون عنها.

كانت قصيدة لن تدخلوا بيروت هي قصيدتي الأولى في الهواء. وعلى الحيطان، وكانت قصيدتي الأولى على الورق هي القصيدة

بعنوان «من معين بسيسو إلى ياسر عرفات» وكانت أول قصائدي لجريدتنا المعركة. وأنا أذكر الآن حينما التقيت للمرة الأولى بأبي عمار الذي وللمرة الأولى في تاريخ الاغتيال _ ينطلق سرب من الطائرات الإسرائيلية لاغتيال قائد الشعب الفلسطيني ومطاردته من بناية إلى بناية ومن شارع إلى شارع، أذكر أنه فاجأني وراح يردد أبياتاً من القصيدة.

ياسر عرفات. لم يبق سوى كيس الرمل.

عاصمتي.

عاصمتك.

كيس من رمل.

ياسر عرفات.

إما أن نملأ يدنا بالرمل.

أو نملأها بالوحل.

وسنملأ يدنا بالرمل

سنملأها بالرمل.

عاصمتي.

عاصمتك كيس من رمل

***

فوجئت بالقائد الذي ألقيت على كتفيه مسؤولية قيادة الحرب الوطنية الفلسطينية واللبنانية ضد قوات الغزو الهتلري الصهيوني،

الـذي قطعوا عنه الكهرباء والماء والخبـز، القائد الذي كان يمضي إلى الأفران كل صباح يناشد العمال، أن يواصلوا العمل ما داموا يستطيعون الوقـوف على أقدامهـم، القائد الذي كان يظهر دائمـاً بين المقاتلين في خطوط القتال الأمامية. القائد الذي كان يصرخ:-

«الخبز للأطفال أولاً. وبعد الأطفال للمقاتلين».

فوجئت به يردد مطلع تلك القصيدة. وفوجئت به يقول:

- ما دام شعراؤنا يكتبون بهذه الصلابة فلا بد وأن ننتصر.

***

كـان من أهـم الأحداث فـي حياتي الأدبيـة في تلـك المـرحلة، هي القصيدة المشـتركة - «رسـالة إلى جندي إسـرائيلي» _ التي كتبتها بالاشتراك مع أخي ورفيقي الشاعر محمود درويش.

كـنـت منذ فترة طويلـة أفكر في كتابة قصيدة مشـتركة، ربما لأنها المـرة الأولـى في الشـعر العربي وربما في الشـعر الأجـنبـي الـذي فيه يكتب شـاعران قصيـدة واحدة، كنت أريد أن أضع حـداً نهائياً بهذه القصيـدة المشـتركة لضـفادع الهواء والورق التـي لـم تكف عن النقيق ضد علاقتي بمحمود درويش.

حينما فاتحت محمود درويش بفكرة القصيدة المشـتركة رحب بها منذ اللحظة الأولى وألهبت حماسته.

مضينـا نناقش مضمون الرسـالة، وكيف يكون التوجـه إلى الجندي الإسـرائيلي _ كيـف يمكن أن نخاطب جندياً فـي دبابة وطائرة وزورق

طوربيد؟ كيف يمكن أن يتوجه الشعر إلى قاتل وقتيل معاً، إلى سجّان وسجين معاً، إلى محاصَرٍ ومحاصِرٍ معاً.

وظهر لنا الضوء الأول للقصيدة. كانت زوجتي صهباء تشتعل حماسة وهي ترى القصيدة تكاد تولد في بيتها _ ولي الشرف أن القصيدة كتبت على تلك الطاولة _ في بيتي _ وضربت على الآلة الكاتبة. ضربتها زوجتي صهباء وبعدها بأيام _ مزقت قذيفة إسرائيلية تلك الطاولة، ولكنها لم تستطع أن تمزّق تلك القصيدة.

***

بعد أن تم ضرب القصيدة على الآلة الكاتبة قامت صهباء بإحراق القصيدة الأصل أو القصيدة الأم كما يقولون _ كانت بعض مقاطعها مكتوبة بخط محمود درويش وبعض المقاطع الأخرى بخط يدي.

حينما سألنا صهباء لماذا أحرقت القصيدة الأصل قالت:

- لكي لا يقول أحد هذا هو محمود وهذا هو معين. إنكما كلّ واحد، يجب عدم الفصل بينكما.

***

كان القائد الفلسطيني صلاح خلف _ أبو أياد _ هو أول من استمع إلى القصيدة قبل نشرها في جريدة السفير.

حينما بدأت أقرأ القصيدة المشتركة على أبي أياد _ ذابت الشمعة الأخيرة _ وظل أبو أياد _ يصر على إشعال ولاعته حتى انتهيت

من قراءة القصيدة. كان فرحه بها كثيراً، كان أكبر من فرح بعض الشعراء الفلسطينيين. كان ما يهمه في الدرجة الأولى أن محمود ومعين كتبا أخيراً قصيدة مشتركة واحدة.

بعض النقاد حاولوا تقسيم القصيدة وراحوا يقولون هذا مقطع لمعين وهذا المقطع لمحمود ولكنهم لم يعرفوا ولن يعرفوا أبداً من كتب هذا المقطع ومن كتب ذلك المقطع حتى ولو وضعت القصيدة المشتركة في الكومبيوتر _ فلن ينجح أحد قطّ في اكتشاف السر.

تعليق واحد كان يدفعني للبكاء حين قال أبو عمار معلقاً على القصيدة المشتركة:

- هذه القصيدة المشتركة هي قصيدة القوات المشتركة. كان أبو جهاد يصغي إلى ما يقوله أبو عمار فقال:

- وهذه القصيدة المشتركة هي قصيدتنا للأرض المحتلة، أرجو أن يكون هذا وأن يكون العمل في الأرض المحتلةعملاً مشتركاً، عملاً يكتبه كل المناضلين.

***

بدأت أيام الحصار ولياليه تأخذ شكلها الأكثر دموية ووحشية. بدأت ثمار الجريمة السوداء تظهر فوق النوافذ المحترقة لبيروت الوطنية؛ اختفت الألوان الخضراء لم نعد نرى شيئاً أخضر يمكن أن يؤكل. ولا كهرباء ولا ماء. والمستشفيات التي كانت هدفاً رئيسياً للغارات الإسرائيلية، والتي انقطعت عنها الكهرباء وانقطع الماء لم

صاحب فندق ألكسندرا في الأشرفية ببيروت الشرقية الذي كان يبول الإسرائيليون على أدراج المناضد في حجرات نومه، كان يطلق تصريحه المشؤوم وقد أصبح أحد الناطقين باسم الكتائب ونشرت الجرائد تصريحه الذي قال فيه:

- أحلم بجثة ياسر عرفات وهي معلقة على بوابة فندقي. بعد ذلك التصريح الدموي بأيام أصابت ثلاث قذائف فلسطينية فندق الكسندرا حيث كان يقيم الضباط والجنود الإسرائيليون. بعد هذه القذائف دفع صاحب فندق الكسندرا فاتورة إعلان نشرته الصحف. وكان الإعلان يقول: إن صاحب الفندق لا علاقة له بالسياسة. وإنه لم يطلق ذلك التصريح قط. وإنه صاحب فندق سياحي.

***

يضيق الحصار فتحاول الدخول إلى العالم من خلال الهواء، إنهم لم يستطيعوا أن يقطعوا الهواء الذي كان يصلنا بالعالم. كان راديو الترانزيستور أكثر صداقة للمحاصرين _ وعمل بكل ما فيه من هواء لفك الحصار، وكان له دور أهم من دور الصمت الذي كان دور هذه الدولة أو تلك. على الأقل كان الراديو الترانزيستور يتكلم.

كان الهتلريون الإسرائيليون يلقون بكل ثقلهم لقطع كل صلات المحاصرين بالعالم، وبالتحديد قطع صلات القيادة السياسية للثورة.

لقد طاردوا كل من حمل كاميرا جريدة، أو كاميرا تلفزيون _ طاردوا كل من جاء إلى بيروت من ممثلي الصحافة الأجنبية في الأيام الأولى

مكالمات مباشـرة كانت على شكل تعليمات وأوامر صريحة للطيارين الإسرائيليين بقصف السفارة السوفييتية لإرغام سفير الاتحاد السوفييتي سـولداتوف على هجر السفارة مسـتهدفين قطع الاتصال اليومي الذي كان يتم بين القيادة الفلسطينية والقيادة السوفييتية في موسكو.

كـــانوا يريدون إخلاء بيروت من كل السـفارات الأجنبية الصديقة وهكذا قصفوا السفارة الفرنسية غير مرة وبشكل مركز.

شكراً لسفارات الدول الصديقة التي بقيت معنا.

***

المقاومـة الفلسـطينية اللبنانيـة والثبـات خلـف المتاريـس فـرض الحصـار الإعلامي والسياسـي على الغزو الإسـرائيلي الذي كان يزداد جنونـه يومـاً بعد يوم إلـى الدرجة التي أعلـن فيها السـفاح القديم على اسـتعداد لقتل عشـرة مدنييـن فلسـطينيين ولبناني وتدمير عشـر بنايات فوق رؤوسهم لقاء قتل مقاتل فلسطيني واحد.؟!

هذه إسـرائيل التي تسـتخدم مكبرات صوت العداء للسامية؟ والتي قدمـت للعالـم منذ ولادتهـا المشـؤومة _ (كوادر الديمقراطية) وسـط (صحارى العرب العشائرية-؟!)

في الخامس من أغسـطس ١٩٨٢ ألقى الإسرائيليون أكثر من مائتي ألـف قذيفـة وقنبلة وصـاروخ مـن القنابـل الارتجاجية إلـى العنقودية والانشـطارية والفوسـفورية وهاجمـوا بعد ذلـك بأرتال مـن الدبابات علـى المحـاور كافة مـن الميناء ومـن محـور المطار. ومـن الأوزاعي

ضربـوا برج البراجنة وحي السـلم. ضربوا المزرعة والروشـة والحمام العسـكري وعين المريسة، لم يسلم شارع واحد ولا مستشفى وحاولوا أن يتقدمـوا بعـد أن ألقـوا بما يعادل قنبلة هيروشـيما على مسـتوى قوة التفجير ولكنهم صدوا ولم يتقدْموا ولا متراً واحداً.

كل الـذي اسـتطاعوا أن يحققـوه أنهـم اسـتولوا على بنايـات مطار بيـروت الدولـي _ قام جهـاز أمـن المطار للشـرعية بتسـليمه لهم ولم تخجل إذاعة الكتائب في ذلك اليوم من إرسـال الاطمئنان إلى عائلات جنود وضباط أمن المطار.

***

محمـود اللبـدي مسـؤول الإعـلام الخارجـي فـي منظمـة التحرير الفلسـطينية كان يقف دائماً أمام مكتبه الذي دمرته القذائف الإسرائيلية إلـى حجارة في شـكل طاولة، كان محمود اللبـدي يقوم بعرض نماذج مـن (الحضارة الأميركية الإسـرائيلية) القنابل العنقودية والفوسـفورية والانشطارية للمراسلين الأجانب.

فـي تلـك الحدائق المعلقة مـن الأحجار التي كانت بنايات شـاهقة كانـت تتـم لقـاءات القيـادة السياسـية الفلسـطينية واللبنانيـة بالزائرين الأجانـب. إلـى تلـك الخرائب التـي قدمتها يـد الطيـار الصهيوني إلى العالـم جاء الصحفي الإسـرائيلي يـوري افنيري والتقى ياسـر عرفات، جاء في عربة تلفزيون ألمانية غربية ولعلها شهادة غير مباشرة من يوري افنيـري على الـدور التآمري والانتهازي الذي لعبتـه ألمانيا الغربية التي

ربمـا رأت أحلامها النازية البائدة تبعـث من جديد في صورة جنرالات إسرائيل الجدد.

وافـنيري لم يصدق الذي يراه بعينيه كان هول الخرائب والأنقاض فوق كل الكلمات وفوق كل الصور التي كانت تقدمها شاشة التلفزيون التـي أصـرت في تلـك المرحلـة علـى تخفيف هـول جرائـم القصف الإسرائيلي وهي شاشة تلفزيون الشرعية اللبنانية.

كـان المذيع يخرج من الشاشة كالذئب ليأكل أعصاب المشاهدين – إلى الدرجة التي قال فيها أحد المواطنين:

- ربما كان قطع الكهرباء أفضل من مشاهدة هذا المذيع.

كان العـدو يعتقد أن الذخائر لن تكفي إلّا لبضعة أيام بعد أن أعلنت إسرائيل تدميرها بشكل نهائي حسبما تعتقد.

***

جـاء الشـيخ أميـن الجميل إلـى مكتب تحـت الأنقاض فـي منطقة الفاكهاني لزيارة صلاح خلف (أبو أياد)، جاء من بيروت الشـرقية التي قدمـت امرأة كتائبية فيها قرنفلة حمراء للدبابة الإسـرائيلية، ولكن أمين الجميل جاء كزائر وقبل هذه الزيارة أرسل أمين الجميل رسالة إلى أبي أياد يعلن فيها تعاطفه مع المحاصرين، وطلب من أبي أياد الحفاظ على حياتـه وأعلن اسـتعداده لتهريبه من بيروت الغربيـة؟ غير أن أبا أياد كان مزروعاً في كيس الرمل.

وبعد أن طاف أمين الجميل مع حرسـه لم تصدق عيناه ما كان يرى، فقال لأبي أياد:

(بماذا تحاربون؟! كان من المعتقد أن ذخيرتكم لا تكفي أياماً فقط.)

في كل مرة وبعد الغارة الإسرائيلية كانت إذاعة الكتائب تعلن أن الطائرة الإسرائيلية قد أصابت مركزاً للأسلحة الفلسطينية - كان هذا الإعلان يتم بعد أن تكون الغارة الإسرائيلية قد قصفت مستشفى أو بناية آهلة بالسكان. كان على الهواء أن يرد فكان صوت الثورة الفلسطينية ويرأسه نبيل عمرو، حيث سقطت المذيعة الميدانية نعم وحيث كان يأتي على الهواء خلف المتراس الشجاع المرابطون.

***

غير أن الذخيرة كانت تصل إلينا رغم كل صور وأشكال الحصار ورغم الطوق الذي ضربته الزوارق والطوربيدات الإسرائيلية على طول امتداد الشاطئ من الميناء إلى الأوزاعي.

وربما للمرة الأولى أستطيع أن أكتب الآن أن ثلاثة مراكب قد أفرغت حمولتها من الذخيرة على شاطئ الحمام العسكري لبيروت الوطنية.

***

بمناسبة إذاعة الكتائب وزيارة أمين الجميل لبيروت كان بشير الجميل قبيل انتخابه في ظل الدبابات الإسرائيلية قد عاد من الطائف ليعلن عبر التلفزيون أن الفلسطينيين يكذبون ولا يريدون الخروج وهم سيدمرون بيروت؟ ولم يترك إهانة لم يوجهها إلى الشعب الفلسطيني.

كانت ابنتي مليكة تشاهد بشير الجميل وهو يوجه الإهانة إلى

محطـة إلى أخرى، ربما يحدث شـيء يكسـر زجـاج الصمت ويحطم مرايـاه، كان الفلسـطيني واللبناني العطشـانان يسـتمعان إلـى إعلانات الميـاه المعدنيـة المثلجة بأسـمائها المختلفة، وينتقـلان من محطة إلى محطة أخرى، ربما كانت هناك برامج للعطش، أما المحطة الثالثة فتذيع موسيقى صاخبة.

مئـة ألف يهودي خرجوا من معسـكرات بوخنڤالد وأوشـڤيتز التي أقامتها عصابة بيغن _ شـامير _ شارون في الأرض المحتلة يتظاهرون، كتفاً إلى كتف مع الشـوارع والنوافذ والحجارة الفلسـطينية على امتداد الريـاح الأربع في الوقت الذي عشـش فيـه العنكبوت فوق كل فم وكل يد من الأفواه والأيدي التي كان عليها أن تتكلم.

غير أن الذي كسر زجاج الصمت وحطم مراياه كان ضابط إسرائيلي اسـمه إيلي جيفا، كان قائد لواء الدبابات على مشارف بيروت الوطنية، قدم الضابط الإسرائيلي استقالته وعرفنا من تصريحه القصير الذي أعلنه _ وجـاء فيه: أن ضميره يرفض مواصلة هذه الحرب القاتلة للفلسـطينيين والإسـرائيليين _ عرفنا أن قراراً قـد صـــدر إليه باقتحام بيروت الوطنية هـذا في الوقت الـذي أعلن فيه المبعـوث الأمريكي فيليـب حبيب في حديـث إلى مجلة نسـائية في بيروت الشـرقية (أنه يحب المـرأة البدينة ذات الأرداف ويفضلها على المرأة النحيلة؟)

وتستمر عملية تكسير دوائر الصمت الجليدية، ففي تل أبيب يتظاهر مئة ألف إسرائيلي ضد الحرب. يطالبون بوقفها وبطرد شارون.

كـــان عدد المتظاهرين الإسـرائيليين يتجاوز عـدد الذين تظاهروا من أجل فلسطين في مجموع شوارع الوطن العربي؟!

توفيق زياد الشـاعر الفلسـطيني والنائب في الكنيست يطرده حرس الرايخسـتاغ الصهيونـي في البرلمان..!! يجرونه جـراً، وهو يصرخ في وجه مناحيم بيغن!

أيها القاتل.

شـاعر فلسـطيني يصرخ في وجه دبابة الميركافا التي اسمها مناحيم بيغن ـ ويضربك السـؤال: أين الكتّاب والشـعراء العـرب الذين كانت سـاقياتهم يـدرن بالحبـر الفلسـطيني؟ أيـن الذيـن انتفخـت أشـداقهم وبطونهـم - بالحبر الفلسـطيني وبالكلمـة من فلسـطين- حينما كانت دكاناً لدور النشر (وللنقاد والكتاب.!!) ؟

أين الذين كانوا كتّاب شهر العسل الثوري وشعراءه؟، حتى الكتاب والشعراء العرب الضفادع كفوا عن النـقيق، حتى النقيق لم نسمعه يأتي من مسـتنقعاتهم ولكن عناوينهـم الجديدة كانت معروفة بالنسـبة إلينا، وأنـا لـن أوجه الإهانة إلى قطـرة حبر واحدة ولا إلى سـنتمتر واحد من الورق لذكر أسـمائهم التي أصبح أطفال متاريس بيروت يعرفونها اسماً بعد الآخر أيضاً.

أحـــد الذيـــن كانوا يسـتبدلون جنسـيتهم وجواز سفرهم وينتقلون مـن جنسـية إلى أخرى ومن جواز سـفر إلـى آخر ـ يتبعـون بـئر النفط أينما ذهب - التقطت له صورة نشرتها جريدة النهار البيروتية وهو يفتح صندوق سيارته الخلفي ويبتسم في وجه جندي الحاجز الإسرائيلي.

لا أفاجأ إذا كانوا أكثر الصارخين ضد الإمبريالية والصهيونية – في الوقت الذي ينزوي بعيداً عن الميكروفونات أولئك الشعراء والكتاب الفلسطينيون واللبنانيون والعرب _ الذين واصلوا وجودهم في بيروت – يبكون أصدقاءهم وأطفالهم وذكرياتهم التي تركوها معلقة فوق حيطان بيروت الوطنية.

***

إنك لا تستطيع أن توجه اللوم إلى من وقفوا في طوابير والكؤوس في أيديهم، ينتظرون أن يملأوها ببول الدبابة الإسرائيلية وبعد ذلك يضعونها في ثلاجاتهم في انتظار المؤتمرات السياحية المقبلة لكي يرفعوا تلك الكؤوس المليئة ببول الدبابة الإسرائيلية ضد إسرائيل وضد الإمبريالية...؟!

***

– يا أبا عمار ما الذي يمكن أن نفعله؟ ما الذي يمكن أن يكتبه الآن الشاعر وراء المتاريس؟!

كان حواراً غريباً عجيباً يدور بين شاعر وبين قائد الثورة في بدروم تحت الأرض وانفجار القذائف الإسرائيلية لا يتوقف. وانتظار الموت لا يتوقف أيضاً.

كان يواصل كتابة برقية أو قراءة تقرير أو بلاغ عسكري أو توقيع قرار أو متابعة الأخبار. وبين لحظة وأخرى بين قذيفة وأخرى كان يرفع رأسه عن الورق، يخلع نظارته ويبتسم ويقول:

– إن قائد الثورة لا يستطيع أن يفرض على الشاعر أو الكاتب..

أسـلوب الكتابـة أو شـكلها. إنكـم وحدكم الذيـن تقررون هـذا. إنني أسـتطيع أن أصدر قـراراً للمقاتلين. ولكن الشـعراء والكتـاب هم قادة أنفسـهم. إنهـم قـادة ثورتنا الشـعرية والأدبيـة الذين يأكلـون معنا الآن رغيف الدخان والبارود.

يتوقف ياسـر عرفات عن الـكلام. أحد الحرس وضـع أمامه برقية. يصفـر وجـه – أبـو عّمـار. تتغيـر تضاريس الوجـه – الذي أخذ شـكل وصـورة تضاريـس الوطـن الفلسـطيني كلـه. تحـس أن شـيئاً رهيباً قد حدث. ينهض أبو عمار ويقدم لي البرقية. وكانت البرقية تقول:

قصفـت الطائـرات الإسـرائيلية مقبرة الشـهداء. قصفـت قبر كمال ناصر وماجد أبو شـرار، قصفت قبر أبو حسـن سـلامة وكمال عدوان، قصفت قبر كل ما هو عزيز وجميل وشريف. ويرتفع صوت أبو عمار:

كنت تسألني عن الذي يجب أن يكتب.

ولكـن انظـر إنهـم يريـدون تجريـد الثـورة مـن قبـور شـهدائها من جذورها، يحرقون بقنابلهم جزءاً عزيزاً من تراب الوطن الفلسطيني.

ولقــــد لاحقتنا قبور الشـهداء حتى الميناء. وركبـت معي الباخرة اليونانية التـي حملتني إلى ميناء لارنكا في قبرص. وتمددت معي فوق سـطح باخرة الشـحن اليونانية، كانت أشـد اللحظات تعاسة وشقاء في حياتـي، حينما ذهبت مـن بيروت مع قافلـة المقاتلين وأنـا أعرف أنني أترك للذئاب قبور شـهدائنا، إنهم لن يستطيعوا الرحيل لا في سفينة ولا في طائرة ولا في قطار.

بعـــد قصـــف بيتي اسـتضافني الفنان الفلسـطيني الصديق غسـان مطر ولا أزال أذكر حينما كان يجيء ذلك المقاتل بربطة الخبز الساخن كل صبـاح، وحينمـا قلت لـه، إن الخبز يقـدم أولاً للأطفـال ومن بعد الأطفال للمقاتلين. كان يضحك ويقول:

نصف الشاعر طفل. ونصفه الآخر مقاتل..؟

هـذا المقاتل بعـد ربطة الخبز اليوميـة التي كان يقدمهـا كل صباح، جاء بالسـمك. المقاتلون المحاصرون أرغموا على اسـتخدام حفنات من الديناميت لاصطياد السمك لم يعد البحر خائناً ولا محايداً، فالبحر يكـون خائناً حينما يصبح مفتوحاً لزوارق الطوربيد الإسـرائيلية... كما تصبح السماء أيضاً كذلك.

***

تـم وضع جـدول الرحيـل من أجـل عيون نصـف مليون امـرأة من لبنـان، من أجل العاصمة التي أصبحت عاصمة للخنادق والبنادق كلها في العالم.

جـدول الرحيل كان على امتداد الخريطة العربية... دفعة إلى لارنكا وأخرى إلى تونس وثالثة إلى السـودان ورابعة إلى اليمن وخامسـة إلى سوريا... الخ.

وجاءني العزيز أبو أياد في تلك الليلة... وقال إلى أين...؟

وكان قـرار لارنـكا فـي قبـرص. لـم يكن هنـاك غير ثـلاث أو أربع ساعات. وبعدها تترك بيروت مع دفعة المقاتلين.

كان علينا أن نتجمع في السابعة صباحاً وفي الملعب البلدي وفي الفاكهاني.

أرغمت نفسي على الذهاب إلى البيت الذي عشت فيه أحد عشر عاماً، أوقدت شمعة ومضيت أطوف بحجراته حجرة بعد أخرى.

الذكريات تتحول في بعض الأوقات إلى ذئاب جائعة، كان كل شيء على الحائط يناديني لوحتان لي: واحدة رسمتها الفنانة الفلسطينية تمام الأكحل وأخرى بريشة الفنان المصري عبد المنعم القصاص. ولوحة الحصان يوقظ بحوافره امرأة ممددة وفي صدرها خريطة الوطن. كانت اللوحة هدية من الرسامة البولندية ماريا أنتو، وتمثال للنحاتة منى السعودي الذي يحمل اسم : العشاق.

كان كل شيء كما تركه القصف، شظايا الزجاج والشمع الذائب فوق المائدة. إنك تريد أن تهرب قبل أن تسقط فوق الشظايا وتعفر بها وجهك.

ما الذي تأخذه...؟! وما الذي تتركه من بقايا هذا البيت...؟!

كان قرار القيادة السياسية للثورة بالخروج في ثياب المقاتل. بحقيبة صغيرة واحدة.

وهكذا خرجت من بيتي بشمعة واحدة هبطت عليها الدرج إلى الشارع... الشمعة التي كتبت، على ضوئها قصائد المعركة في الحقيبة، كانت هناك الأعداد من جريدة المعركة مع مجموعتي الشعرية والمسرحية وبعض الثياب التي لم تمزقها الشظايا.

في الملعب البلدي أخذت تتجمع مجموعات من المقاتلين والمراسلين الأجانب واللبنانيين. كانت دموعهم تملأ عيونهم.

وللخـروج من مأزق الدموع، أطلق لبناني رصاص الكلاشـينكوف وهو يصرخ:

ثورة... ثورة حتى النصر.

وتبعته مئات البنادق، وهكذا ارتفعت الدمعة إلى مستوى الرصاصة.

***

جــاء أبو جهاد وأبو الوليد للوداع. وجاء أبو موسى. وجاء الكثيرون لوداع الدفعة الأولى من المقاتلين الكوادر.

رشـاد أبو شـاور هذا الكاتب العزيز بكى على كتفي حتى بللها. كان يجهش بالبكاء كالطفل. لم يستطع الشاعر عز الدين المناصرة أن يلجم الدموع في عينيه.

كانـت زوجتي تتحدث إلى صحفي. كانـت المرأة المقاتلة الوحيدة في هذه القافلة.

***

كـــان هنـــاك مـن المودعين شـبل لبنانـي لا أدري كيف مضيت إليه. سـرعان ما فتح ذراعيه. لم يكن هناك ما أقدمه له. حيث تركت كل شيء ورائي في البيت المقصوف المهدم.

لـم يكن هناك غير مسدسـي. نزعته وقدمته إليـه. حينما تقدمت إليه بالمسدس قلت له والدموع ملء عيني:

احرس بهذا المسدس مقبرة الشهداء.

***

عشـرات ألوف الطلقات تدوي للـوداع، كانت بيروت الوطنية تقف

في الشبابيك، أولئك الذين لم يملكوا غير حفنات قليلة من الأرز كانوا يلقونها فوق رؤوسنا. وكانت الصرخات ترتفع:

عودوا إلينا.

***

إنني أحتفظ حتى الآن بحبات الأرز تلك التي عثرت عليها في شعري، إنها لآلئ فقراء لبنان الذي قدم من النافذة. قدم كيس الرمل. والشهيد. وقدم المتراس وهو يقدم الآن حبات الأرز الأخيرة في يده.

***

ومضينا إلى الميناء تحت وهج الرصاص والهتافات.

هناك كانت تنتظر مجموعات من القوات الفرنسية التي أوصلتنا إلى الميناء ثم إلى الباخرة اليونانية. خرج المقاتلون بأسلحتهم وراياتهم وخرجت بقصائدي ويومياتي هذه.

***

المصور الصحفي السوفييتي فلاديمير كوفنت قال لي: إن فرنسياً طلب من أحد المقاتلين أن يهدي إليه علماً فلسطينياً وقدم له المقاتل العلم، فوضعه الجندي الفرنسي في صدره وهو يقول:

سأعلقه في بيتي، لقد كنتم مقاتلين شجعاناً.

***

في ميناء لارنكا كان في انتظارنا المناضل فاروق القدومي ـ رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ووزير خارجية قبرص.

## ولدي محمد

**إلى توفيق**

الماءُ أزرقُ

مثل لون البحر أزرقُ

يا محمَّدْ

والخبز أزرق.

مثل لون الجرح أزرقُ

يا محمد

والشمع أزرق

مثل لون الموت أزرق

يا محمد

ولدي محمد.

لا الماء عندك يا محمَّدْ.

لا الخبز عندك يا محمد

لا الشمع عندك يا محمّد

ويقولُ من لم يُعطه

حبة أسبرين

يقول:

اصمد يا مُحمّدْ

***

ولدي مُحمّدْ

في ظلّيَ الدامي تمدّدْ

أو فوق ركبة أمك العطشى

تمدّدْ

وإذا عطشت وجعت فاصعد

نحلة

تمتصُّ عيني

خُذ رموش العين

ريشاً

يا مُحمَّد

زهرة

تمتصُّ ضوء الروح

زيتاً

أشعل القنديل واصعد

عيسى وأحمد يسألان

من البطل؟!

البرتقال أم البصل..؟!

***

عيسى وأحمد يعرفان

بأن ميزان القوى

هو في الحقيقة ليس ميزان القوى

هل كان في بيروت ميزان القوى

بين القذيفة والجسد

***

عيسى وأحمد يعرفان

من الكتب

قانون ميزان القوى عند العرب

عيسى وأحمد يعرفان

من الدروس

من الدروس

من الدروس

بأن ميزان القوى

في كفة ملك

وفي الأخرى رئيس

***

وأنا معكْ

ولقد رأيتك

على كتفيكَ تصطفُّ النوارس

كنت مغسولاً بماء الرعد

يا مُعلّمها القراءةَ والكتابةَ

يا معلمها دروس الرسم

حين بدأتُ أرسمُ موجة فوق الورق

جاءوا إلينا بالشبك

وكأنه قد باض في دمنا السمك

والنحل عشَّشَ في رقاب الخيل

عشَّشَ في حوافرها الزهر

تطاير من حوافها الزَهَرْ

فلمن رقاب الخيل حبلى بالعسل

ولمن تعبئ من حوافرها الجرارُ

ونحن من شرك إلى شرك نسير كأنّ في دمنا الشرك

والآن أنت هنا وقرص الشمس في يدك الرغيف

وبين متراسين تزرع نخلتين وتنتظر

دوري طواحين الشجرْ

وأنا وأنت هنا ووجهك صار عاصمة لنا

وأنا أحبك وسط هذا الرعب: مرايا

النيران تطلعُ كالقمر المطارد

أين يا قمر الخنادق تختبئ؟

وأنا وأنت هنا  ومن كفيّك وجهي يبتدئ

هذا هو المتراس دالية من النيران غطاها الندى

وأنا معك

ريش يدي وأنا أطيرُ إلى يدكْ

ويحاصرونكَ. وإنه الرجم القديم وإنه الذئب القديم

وراء هذا المنجنيق

وإنها السكين ذات الألف وجه لي ولك

ويحاصرونك غير أن الشمس تشرق مرة أخرى

رغيف آخرٌ يأتي

وقنبلة تجدِّد عهدها

ونوافذ أخرى محطمة تلدْ

ضاقت علينا الريح واتسعت خلاخيلُ الزرّد

ويطاردونك كل من وأدَ البيارق والبنادق

راح يحفر في الهواء لكي يئد

ضاقت علينا الأرضُ واتسعتْ شبابيكُ الخنادق

أنت تعرف أنك الآتي

وأعرف أنك الآتي

وأني بالخواتم

الشرايين التي صعدت عرائشها

ومن نفق إلى أفق نسيرُ

إلى نفق

وأنا وأنتَ هنا وبيروتُ التي امتشقْتكَ أجنحةً

وصبَّتْ في يديكَ الأشرعة

بيروت سرَّتها فمي

بيروت خاتمها فمي وأنا أسافر في شراييني

معه

فلِمْن ستترك صورة فوق الجدارِ لمن سينمو العشبُ

فوق المطبعة

ولمن ستترك ذكرياتك في الشوارع والنوافذ ضائعةْ

أنا أنحني وأقبل الحجر الذي أعطى لوجهي الأشرعة

أنا أرتمي وأقبل النار التي أعطت لصدري أضلعه

بيروت يا وطناً يفتش عن وطن

بيروت السفن

والموج صار حقائبي

دوري طواحين السفنْ.

## المؤلف في سطور

- ولد معين بسيسو في مدينة غزة بفلسطين بتاريخ ١٠/ ١٠/ ١٩٢٦، أنهى علومه الابتدائية والثانوية في كلية غزة عام ١٩٤٨.
- بدأ النشر في مجلة«الحرية» اليافاوية ونشر فيها أول قصائده عام ١٩٤٦، التحق سنة ١٩٤٨ بالجامعة الأميركية في القاهرة، وتخرج عام ١٩٥٢ من قسم الصحافة.
- انخرط في العمل الوطني الديمقراطي مبكراً، وعمل في الصحافة والتدريس، وفي ٢٧ كانون الثاني / يناير العام ١٩٥٢ نشر ديوانه الأول- المعركة -
- سجن في المعتقلات المصرية بين فترتين الأولى من ١٩٥٥ الى ١٩٥٧ والثانية من ١٩٥٩ الى ١٩٦٣.
- كتب في العديد من الجرائد والمجلات العربية .
- كان أحد أبرز رواد المسرح الفلسطيني وكتب عدة مسرحيات.
- تُرجم أدبه إلى اللغات العالمية .
- حائز على جائزة اللوتس العالمية .

- حائز على أعلى وسام فلسطيني – درع الثورة.
- كان عضو المجلس الوطني الفلسطيني.
- استشهد إثر نوبة قلبية حادة في لندن يوم ٢٣/ ١/ ١٩٨٤.

## مسرح

- الصخرة
- العصافير تبني أعشاشها بين الأصابع
- كليلة ودمنة
- ثورة الزنج
- شمشوم ودليلة
- مأساة جيفارا

## نثر

- يوميات غزة
- أدب القفز بالمظلات
- باجس أبو عطوان
- دفاتر فلسطينية
- نماذج
- يوميات
- الاتحاد
- (قصة الأطفال) عودة الطائر

# الفهرس